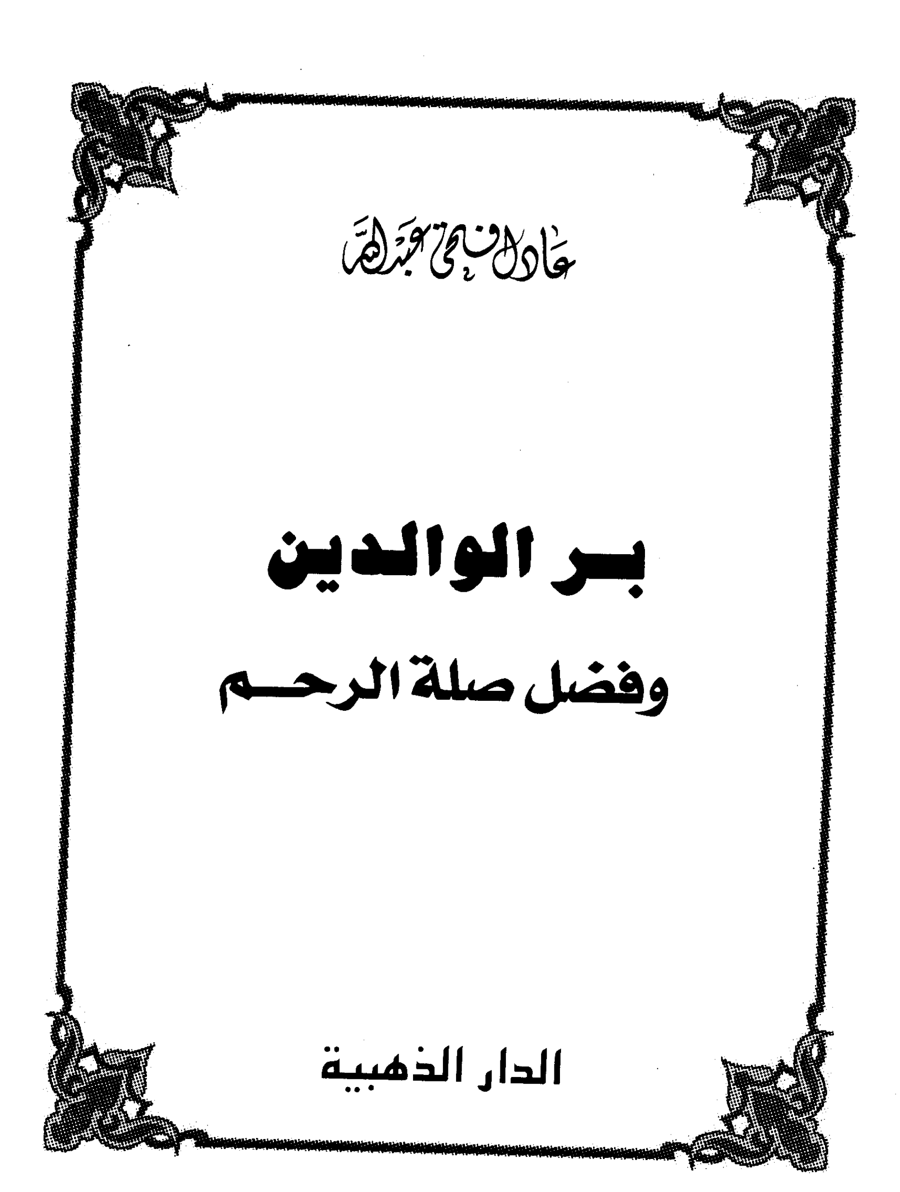
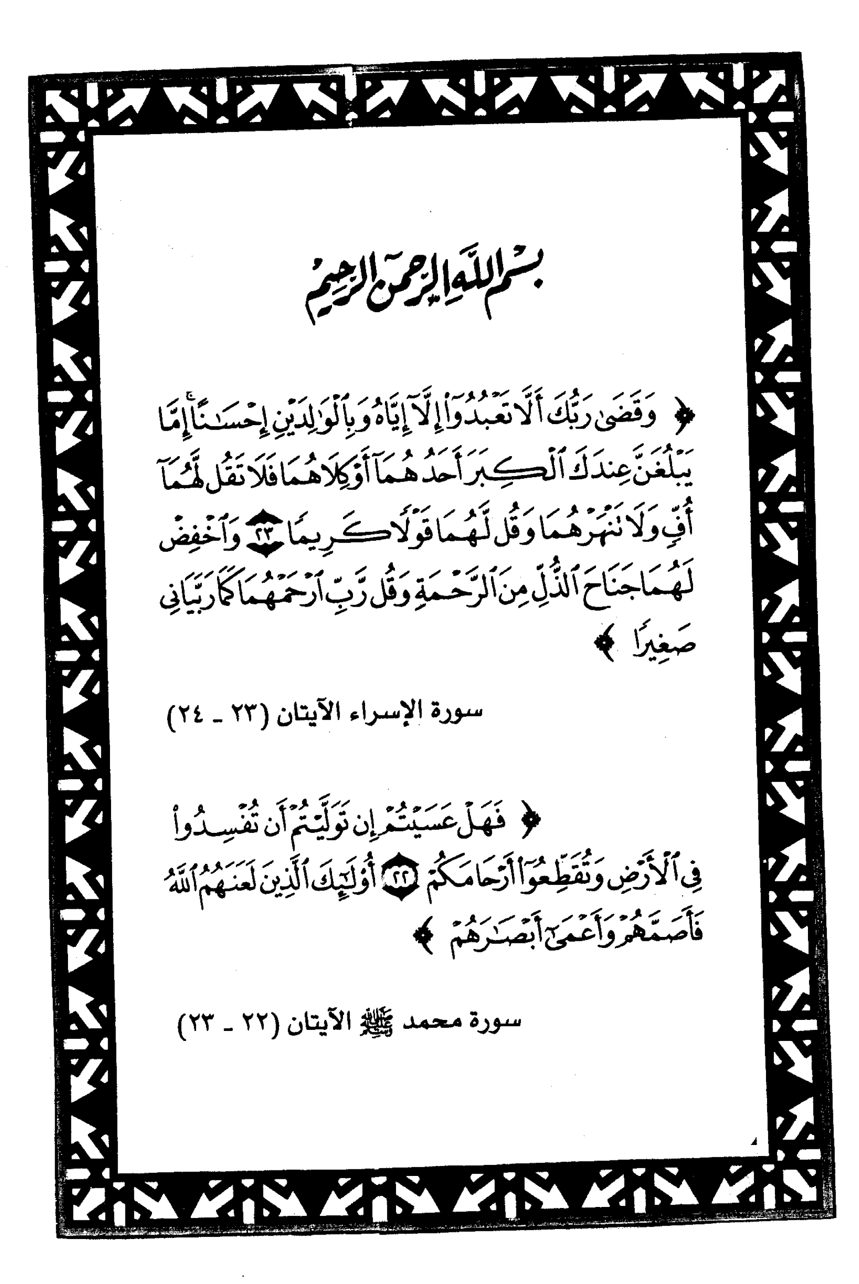


عادل فتحي عبد الله

بر الوالدين
وفضل صلة الرحم

الدار الذهبية



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴾

سورة الإسراء الآيتان (٢٣ ـ ٢٤)

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾

سورة محمد ﷺ الآيتان (٢٢ ـ ٢٣)

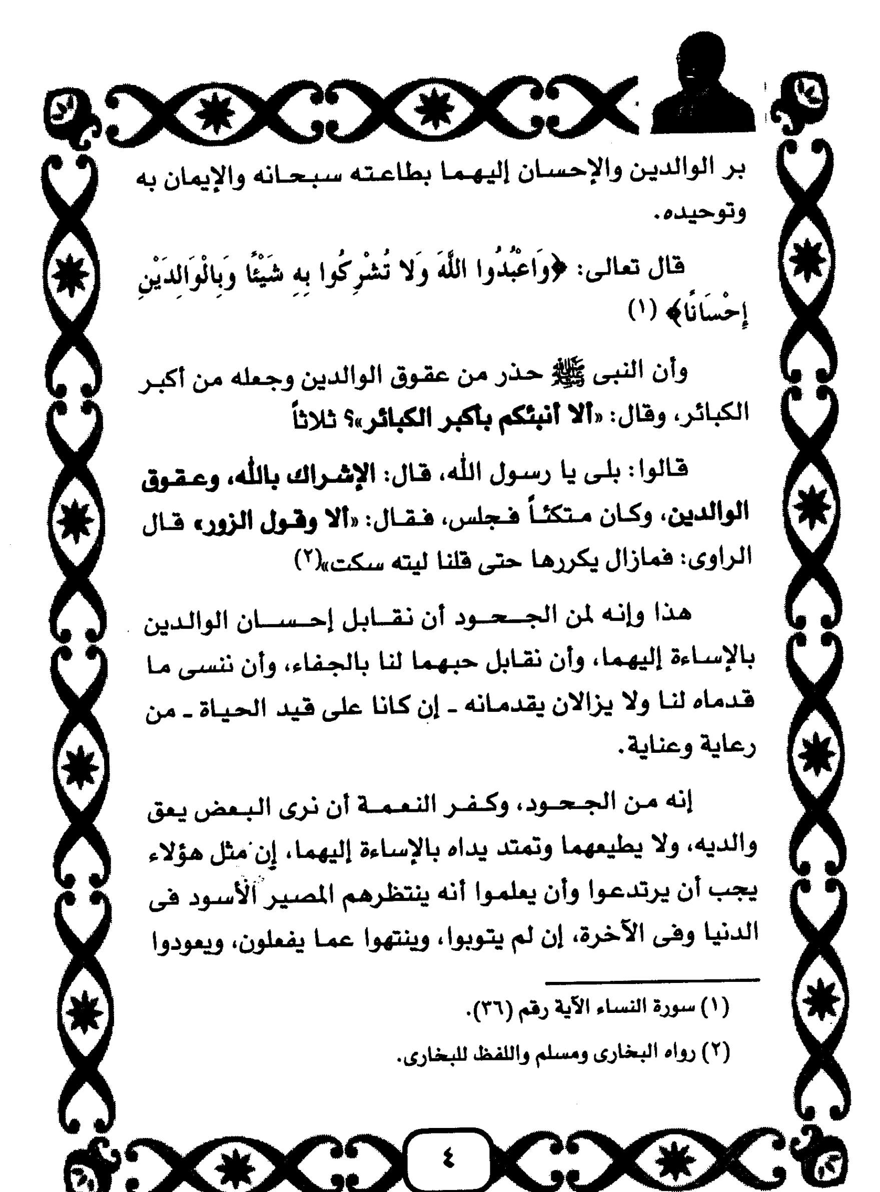


المقدمة

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن والاه.

وبعد

فإنه مما يحزن القلب، أن نسمع فى هذه الأيام عن آباء وأمهات قد تركهم الأبناء بغير سؤال عنهم، ولا اطمئنان على صحتهم، حتى إن أحدهم يموت فى (شقته) فلا يعرف أحد بموته، إلا بعد أيام. حين يطرأ طارىء يدل عليه، والأبناء فى غفلة لاهين، لا يدرون أن بر الوالدين ـ وأقله السؤال عنهم والاطمئنان عليهم ومساعدتهم عند الحاجة ـ هذا البر واجب من أوجب الواجبات التى فرضها الله تعالى علينا، وتركه كبيرة من أكبر الكبائر الموجبة لعذاب الله، وأن الله تعالى قرن



بر الوالدين والإحسان إليهما بطاعته سبحانه والإيمان به وتوحيده.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (١)

وأن النبى ﷺ حذر من عقوق الوالدين وجعله من أكبر الكبائر، وقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**»؟ ثلاثاً

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، وكان متكئاً فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور**» قال الراوى: فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت»(٢)

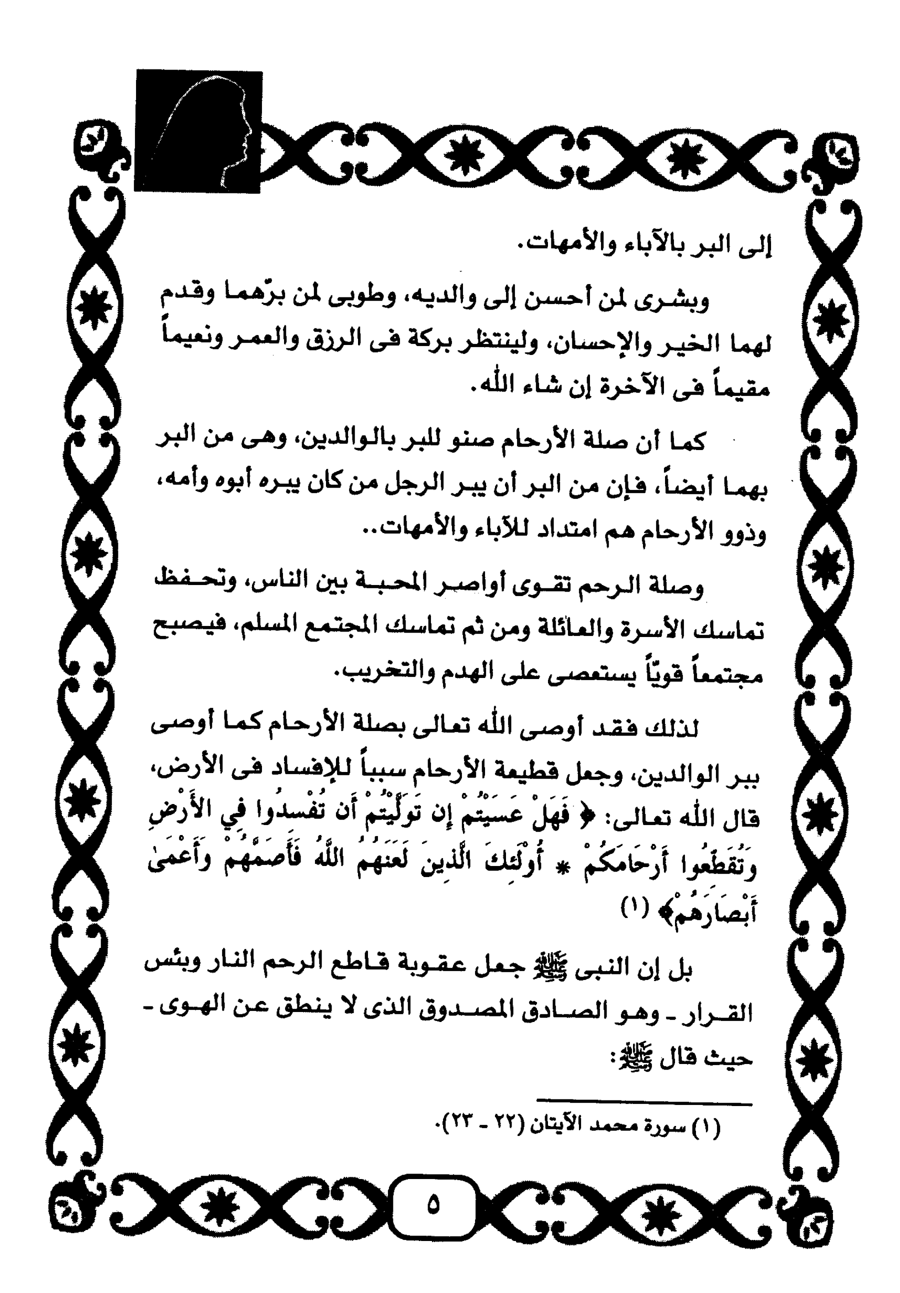
هذا وإنه لمن الجحود أن نقابل إحسان الوالدين بالإساءة إليهما، وأن نقابل حبهما لنا بالجفاء، وأن ننسى ما قدماه لنا ولا يزالان يقدمانه - إن كانا على قيد الحياة - من رعاية وعناية.

إنه من الجحود، وكفر النعمة أن نرى البعض يعق والديه، ولا يطيعهما وتمتد يداه بالإساءة إليهما، إن مثل هؤلاء يجب أن يرتدعوا وأن يعلموا أنه ينتظرهم المصير الأسود فى الدنيا وفى الآخرة، إن لم يتوبوا، وينتهوا عما يفعلون، ويعودوا

---

(١) سورة النساء الآية رقم (٣٦).

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى.



إلى البر بالآباء والأمهات.

وبشرى لمن أحسن إلى والديه، وطوبى لمن برّهما وقدم لهما الخير والإحسان، ولينتظر بركة فى الرزق والعمر ونعيماً مقيماً فى الآخرة إن شاء الله.

كما أن صلة الأرحام صنو للبر بالوالدين، وهى من البر بهما أيضاً، فإن من البر أن يبر الرجل من كان يبره أبوه وأمه، وذوو الأرحام هم امتداد للآباء والأمهات..

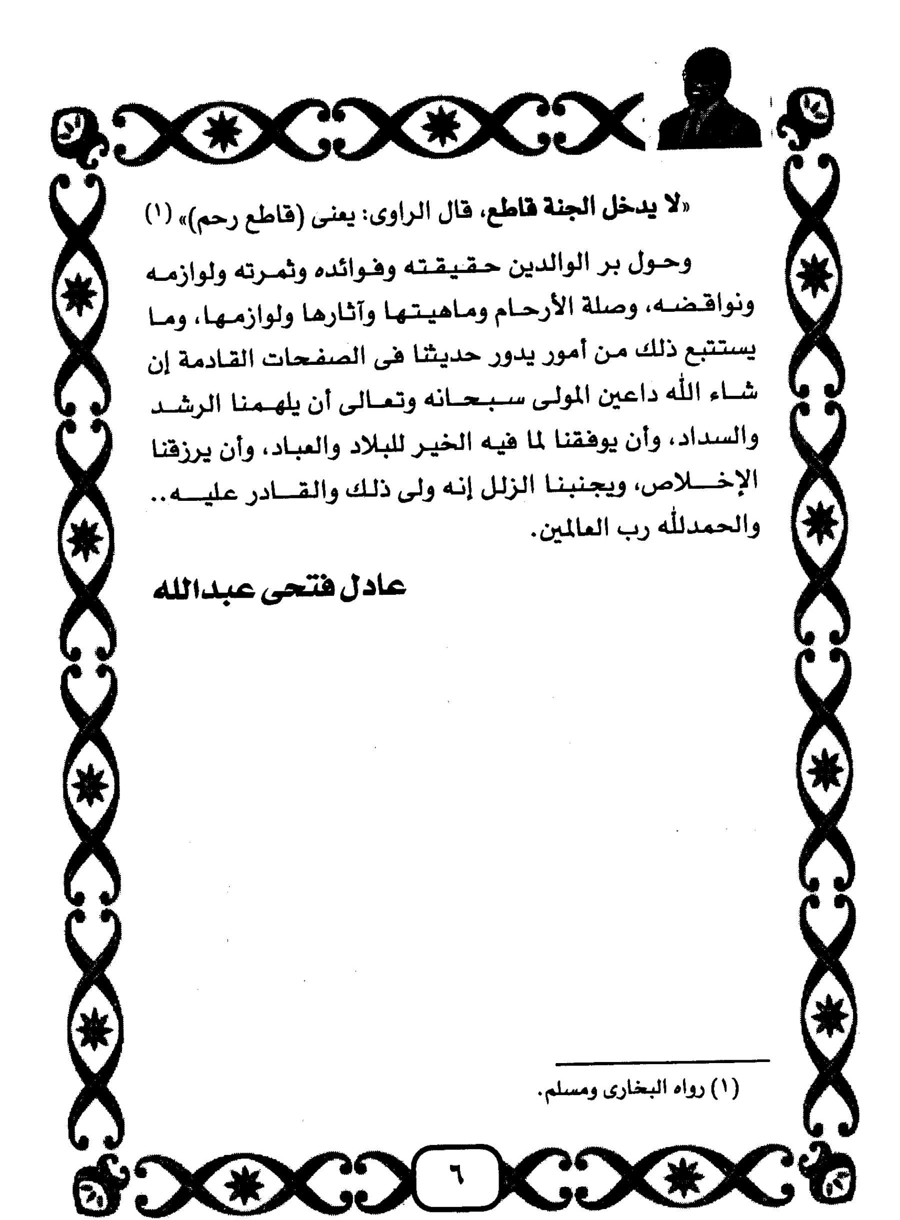
وصلة الرحم تقوى أواصر المحبة بين الناس، وتحفظ تماسك الأسرة والعائلة ومن ثم تماسك المجتمع المسلم، فيصبح مجتمعاً قوياً يستعصى على الهدم والتخريب.

لذلك فقد أوصى الله تعالى بصلة الأرحام كما أوصى ببر الوالدين، وجعل قطيعة الأرحام سبباً للإفساد فى الأرض، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (١)

بل إن النبى ﷺ جعل عقوبة قاطع الرحم النار وبئس القرار - وهو الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى - حيث قال ﷺ:

---

(١) سورة محمد الأيتان (٢٢ - ٢٣).

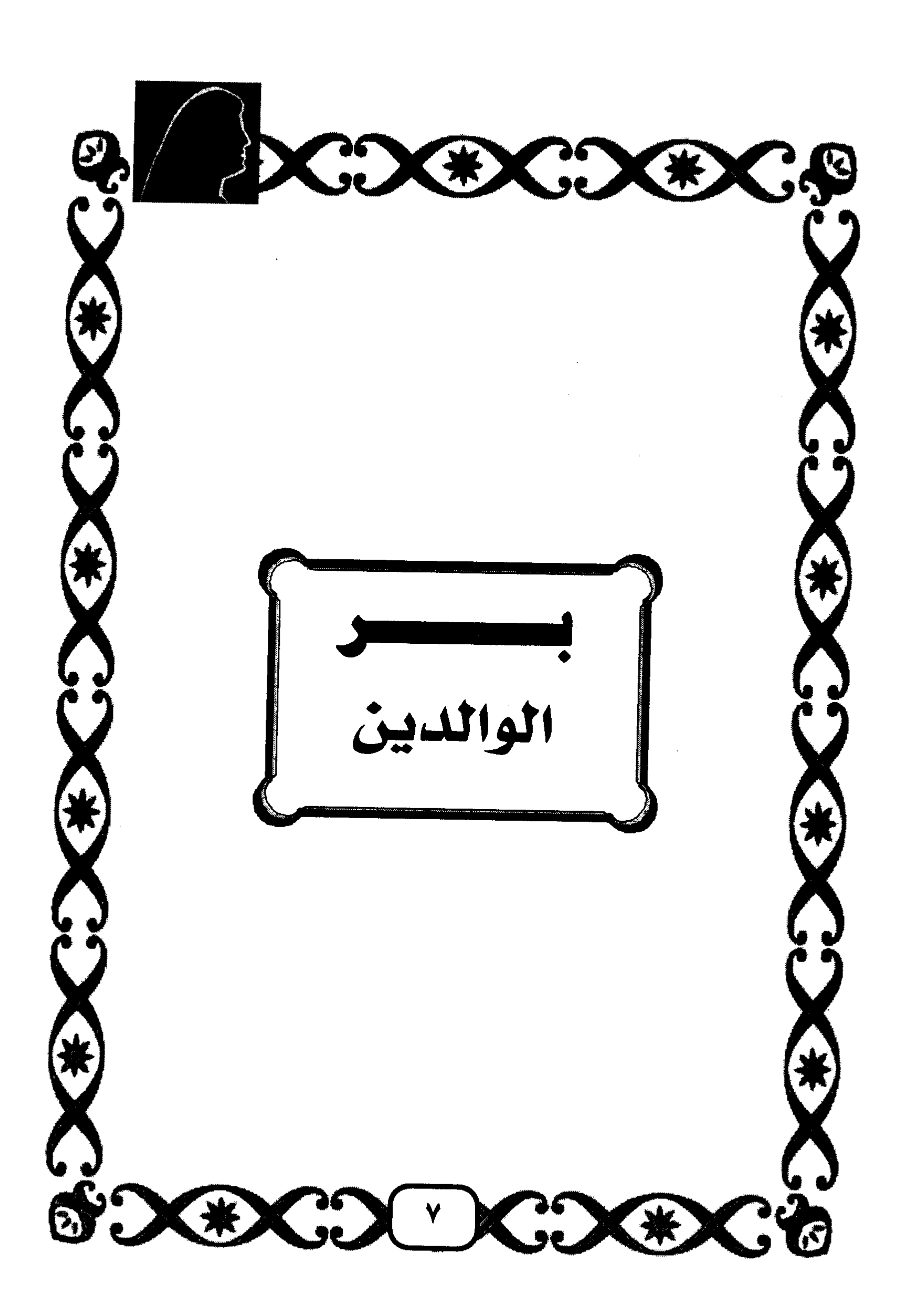


«**لا يدخل الجنة قاطع**، قال الراوى: يعنى (قاطع رحم)» (١)

وحـول بر الوالدين حـقـيـقـتـه وفـوائده وثمـرته ولوازمـه ونواقـضـه، وصلة الأرحـام ومـاهيـتـهـا وآثارها ولوازمـها، ومـا يستتبع ذلك من أمور يدور حديثنا فى الصفحات القادمة إن شـاء الله داعين المولى سـبـحـانه وتعـالى أن يلهـمنا الرشـد والسداد، وأن يوفقنا لما فيه الخير للبلاد والعباد، وأن يرزقنا الإخـلاص، ويجنبنا الزلل إنه ولى ذلك والقـادر عليـه.. والحمدلله رب العالمين.

عادل فتحى عبدالله

(١) رواه البخارى ومسلم.



بـــر
الوالدين



بر الوالدين من أوجب الواجبات وأعظم الفرائض

لا شك أن بر الوالدين من أوجب الواجبات على المؤمنين، وهذا ما نصت عليه السنة النبوية الصحيحة، كما سبق القرآن الكريم بالتوصية ببر الوالدين وتعظيم مكانتهما، والإحسان إليهما، وترك عقوقهما.

قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا (١) عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ (٢) فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(٣)

بل إن الله تبارك وتعالى قرن بين الإيمان به وتوحيده وعبادته وبين الإحسان للوالدين والبر بهما، قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٤)

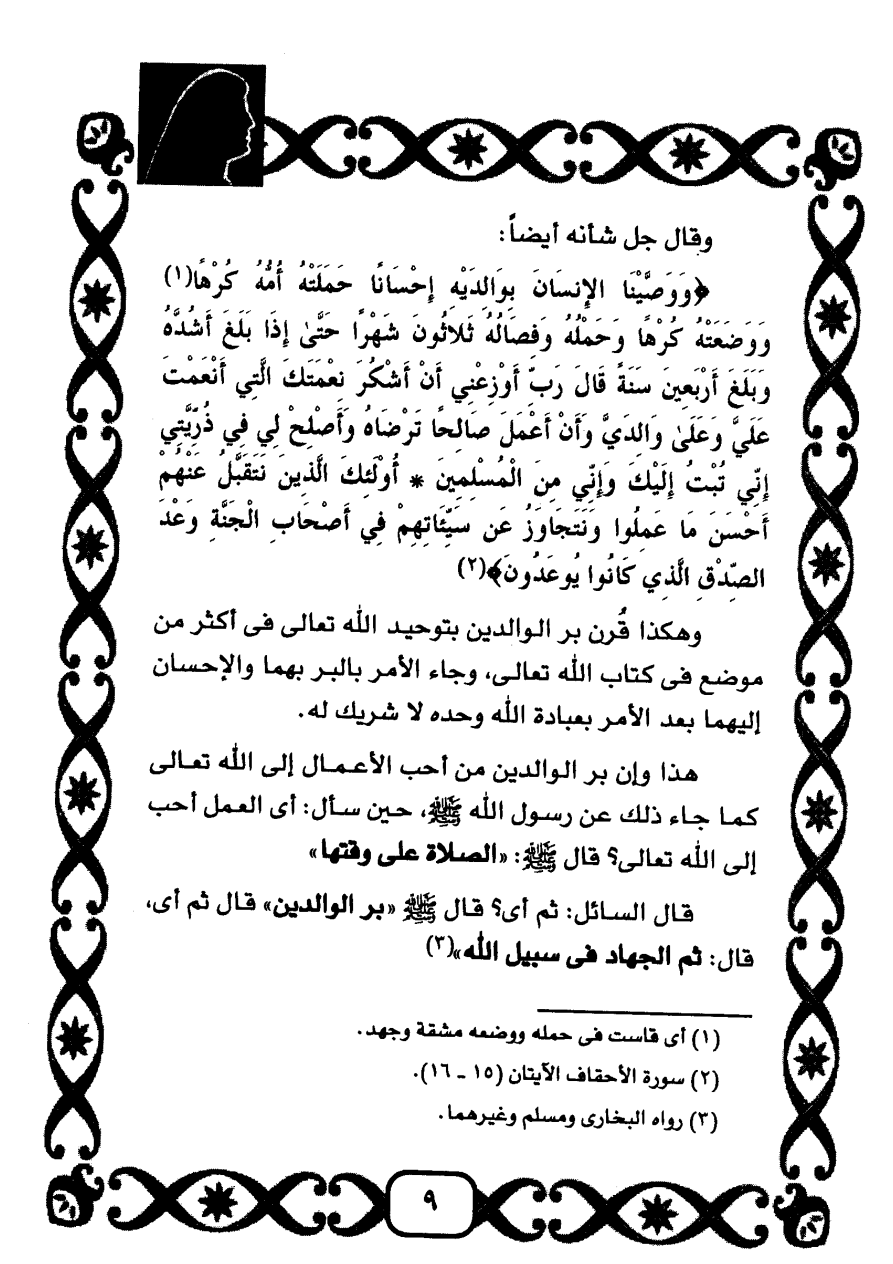
وقال جل شأنه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٥)

---

(١) «وهناً على وهن» يعنى: «ضعفا على ضعف»

(٢) فصاله: يعنى فطامه. (٣) سورة لقمان الآية (١٤)

(٤) سورة النساء الآية (٣٦) (٥) سورة الإسراء الآيتان رقم (٢٣ - ٢٤).



وقال جل شأنه أيضاً:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا[1] وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[2]

وهكذا قُرن بر الوالدين بتوحيد الله تعالى فى أكثر من موضع فى كتاب الله تعالى، وجاء الأمر بالبر بهما والإحسان إليهما بعد الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له.

هذا وإن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ، حين سأل: أى العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال ﷺ: «**الصلاة على وقتها**»

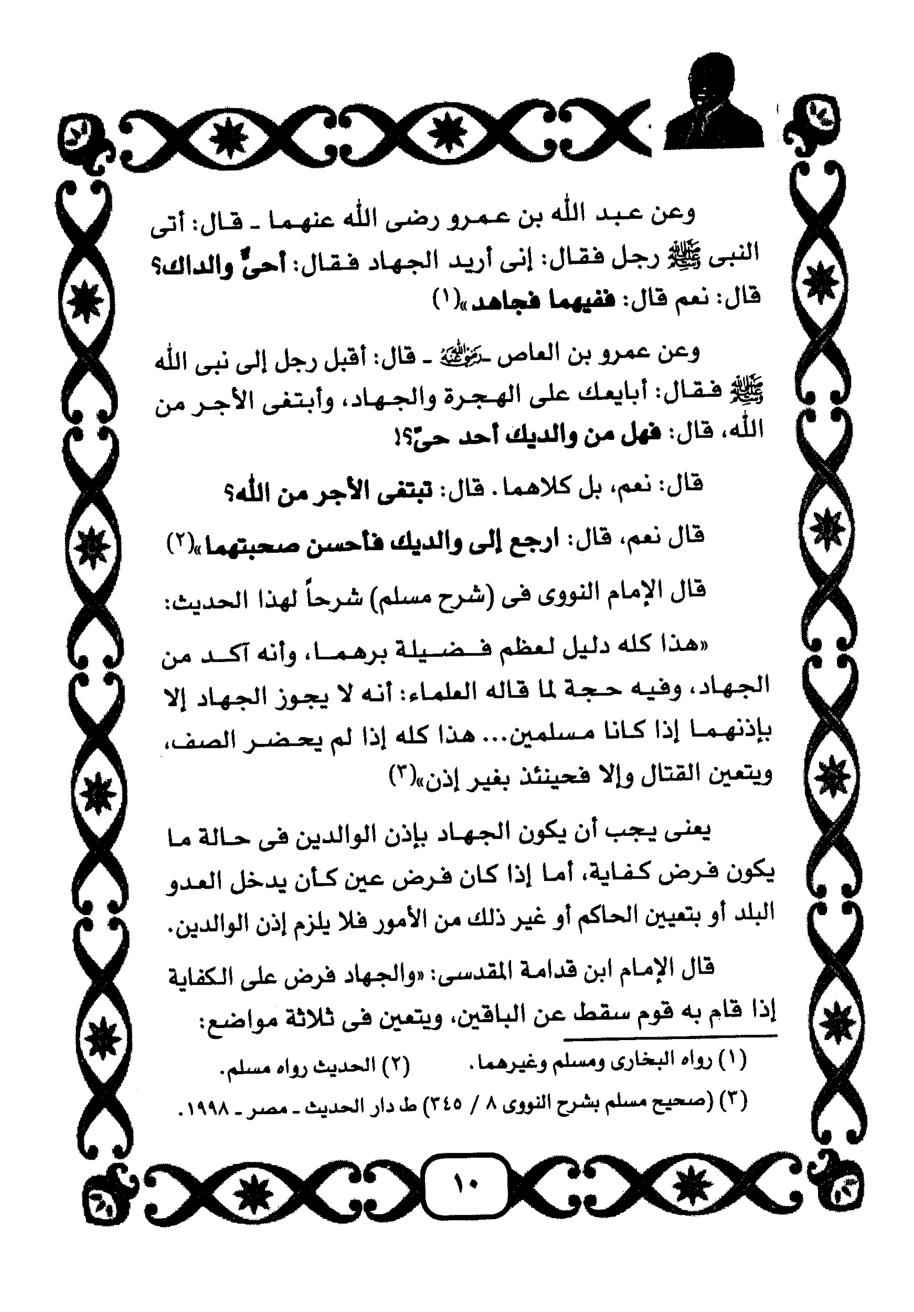
قال السائل: ثم أى؟ قال ﷺ «**بر الوالدين**» قال ثم أى، قال: **ثم الجهاد فى سبيل الله**»[3]

---

(١) أى قاست فى حمله ووضعه مشقة وجهد.

(٢) سورة الأحقاف الآيتان (١٥ - ١٦).

(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.



وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما - قال: أتى النبى ﷺ رجل فقال: إنى أريد الجهاد فقال: **أحىٌّ والداك؟** قال: نعم قال: **ففيهما فجاهد**»[1]

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه - قال: أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، وأبتغى الأجر من الله، قال: **فهل من والديك أحد حىٌّ؟!**

قال: نعم، بل كلاهما . قال: **تبتغى الأجر من الله؟**

قال نعم، قال: **ارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»[2]

قال الإمام النووى فى (شرح مسلم) شرحاً لهذا الحديث:

«هذا كله دليل لعظم فضيلة برهما، وأنه آكد من الجهاد، وفيه حجة لما قاله العلماء: أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كانا مسلمين... هذا كله إذا لم يحضر الصف، ويتعين القتال وإلا فحينئذ بغير إذن»[3]

يعنى يجب أن يكون الجهاد بإذن الوالدين فى حالة ما يكون فرض كفاية، أما إذا كان فرض عين كأن يدخل العدو البلد أو بتعيين الحاكم أو غير ذلك من الأمور فلا يلزم إذن الوالدين.

قال الإمام ابن قدامة المقدسى: «والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين، ويتعين فى ثلاثة مواضع:

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما. (٢) الحديث رواه مسلم.

(٣) (صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ٣٤٥) ط دار الحديث - مصر - ١٩٩٨.



١ ـ إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفان، حُرِّم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام.

٢ ـ إذا نزل الكفار ببلدة تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

٣ ـ إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه..»[١]

هذا وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ يبايعه على الجهاد وقد ترك والديه يبكيان فأمره النبى ﷺ أن يرجع إليهما ليضحكهما.

فعن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: «يا رسول الله جئت أبايعك وتركت أبوىَّ يبكيان، قال: «**ارجع فأضحكهما كما أبكيتهما**»[٢]

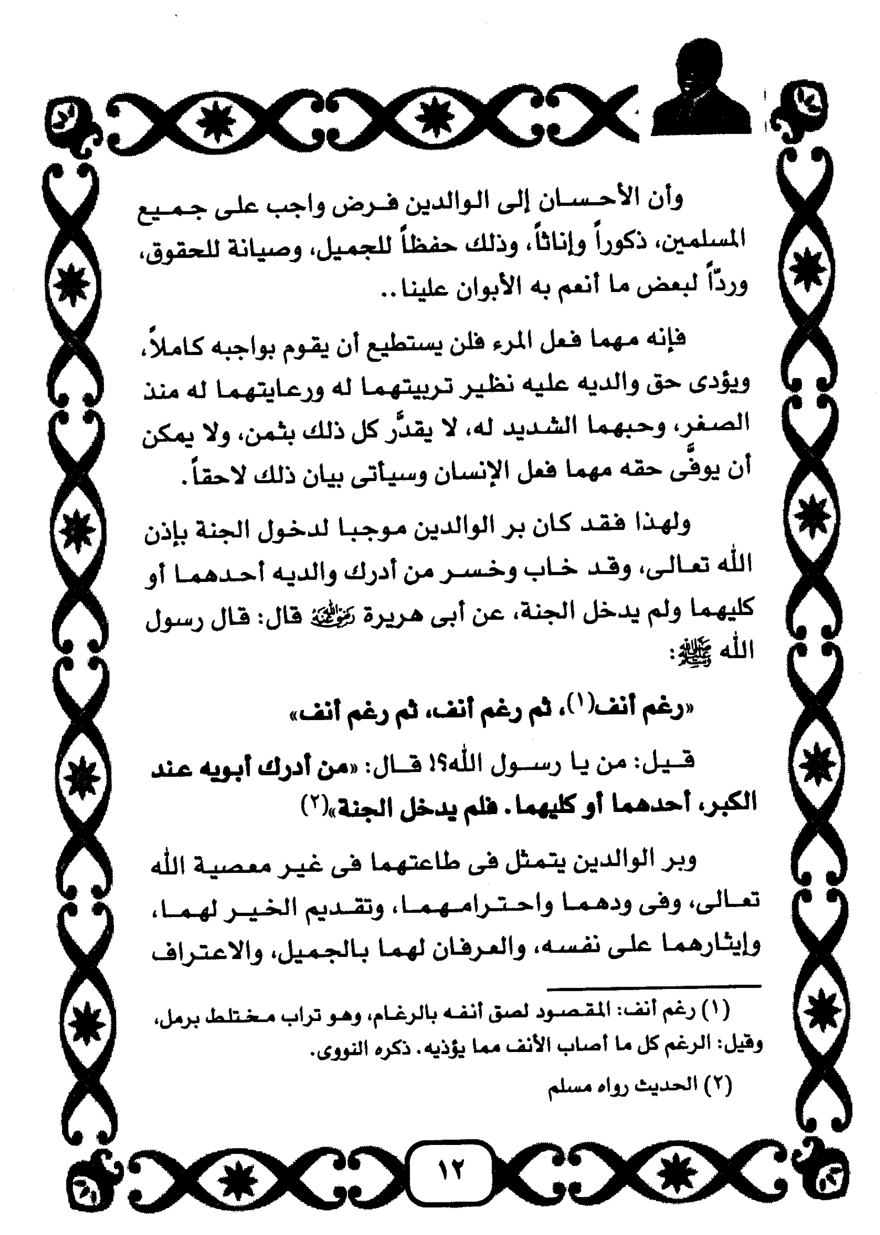
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى رجل إلى النبى ﷺ فقال: «إنى أشتهى الجهاد، وإنى لا أقدر عليه، فقال: **هل بقى أحد من والديك؟** قال: أمى، قال: **فاتق الله فيها، فإن فعلت ذلك فأنت حاج، ومعتمر ومجاهد، فإن دعتك أمك فاتق الله وبرها**»[٣]

وهكذا يتأكد أن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وأنه أفضل من الجهاد فى سبيل الله إذا كان هذا الجهاد فى حينها فرض على الكفاية قد قام به البعض فكفوا الباقين.

(١) («المغنى ٩ / ١٦٣») لابن قدامة المقدسى أبى محمد المتوفى سنة ٦٢٠ هـ ـ باختصار ط دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم والبخارى فى الأدب المفرد.

(٣) رواه البيهقى فى (شعب الإيمان ٦ / ١٧٩).



وأن الأحسان إلى الوالدين فرض واجب على جميع المسلمين، ذكوراً وإناثاً، وذلك حفظاً للجميل، وصيانة للحقوق، ورداً لبعض ما أنعم به الأبوان علينا..

فإنه مهما فعل المرء فلن يستطيع أن يقوم بواجبه كاملاً، ويؤدى حق والديه عليه نظير تربيتهما له ورعايتهما له منذ الصغر، وحبهما الشديد له، لا يقدَّر كل ذلك بثمن، ولا يمكن أن يوفَّى حقه مهما فعل الإنسان وسيأتى بيان ذلك لاحقاً.

ولهذا فقد كان بر الوالدين موجبا لدخول الجنة بإذن الله تعالى، وقد خاب وخسر من أدرك والديه أحدهما أو كليهما ولم يدخل الجنة، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«رغم أنف[1]، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف»

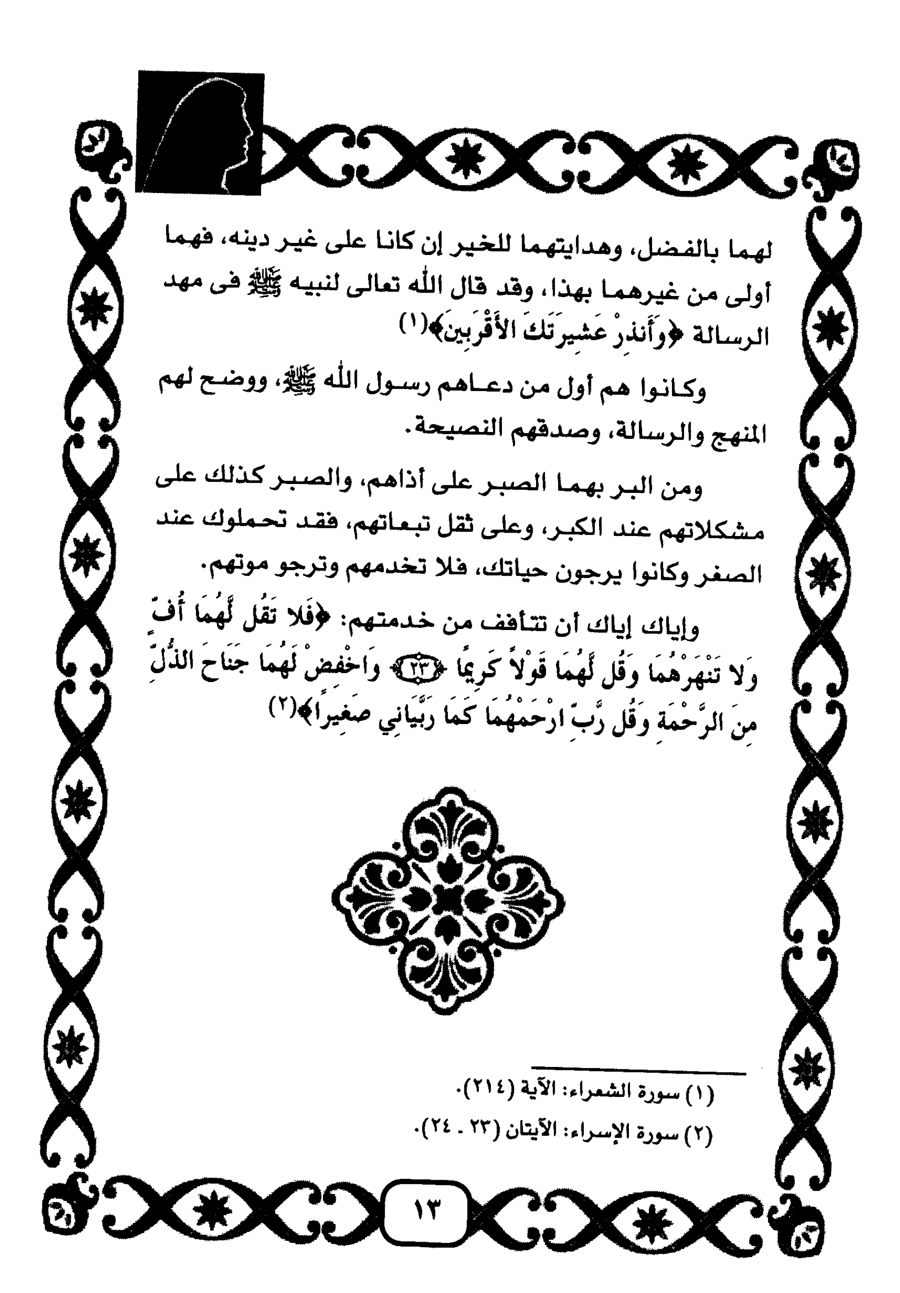
قيل: من يا رسول الله؟! قال: **«من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما. فلم يدخل الجنة»**[2]

وبر الوالدين يتمثل فى طاعتهما فى غير معصية الله تعالى، وفى ودهما واحترامهما، وتقديم الخير لهما، وإيثارهما على نفسه، والعرفان لهما بالجميل، والاعتراف

---

(١) رغم أنف: المقصود لصق أنفه بالرغام، وهو تراب مختلط برمل، وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه. ذكره النووى.

(٢) الحديث رواه مسلم



لهما بالفضل، وهدايتهما للخير إن كانا على غير دينه، فهما أولى من غيرهما بهذا، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ فى مهد الرسالة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1]

وكانوا هم أول من دعاهم رسول الله ﷺ، ووضح لهم المنهج والرسالة، وصدقهم النصيحة.

ومن البر بهما الصبر على أذاهم، والصبر كذلك على مشكلاتهم عند الكبر، وعلى ثقل تبعاتهم، فقد تحملوك عند الصغر وكانوا يرجون حياتك، فلا تخدمهم وترجو موتهم.

وإياك إياك أن تتأفف من خدمتهم: ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[2]

(١) سورة الشعراء: الآية (٢١٤).

(٢) سورة الإسراء: الآيتان (٢٣ - ٢٤).



بـــر الأم

إذا كان بر الوالدين واجباً، فإن بر الأم بصفة خاصة يعد من أوجب الواجبات، ولقد وصى القرآن الكريم بالأم بصفة خاصة كما سبق بيانه فى الآيات الكريمة، كما وصى النبى ﷺ بالأم أيضاً بصفة خاصة... فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتى؟

قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»(١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبى ﷺ أعرابى، فقال: يا رسول الله، إنى رجل من أهل البادية وإنى موسر، وإن لى أماً وأباً وأختاً وأخاً وعماً وعمة وخالاً وخالة فأيهم أولى بصلتى؟ فقال ﷺ: «**أمك وأباك، وأختك وأخاك وأدناك أدناك**»(٢)

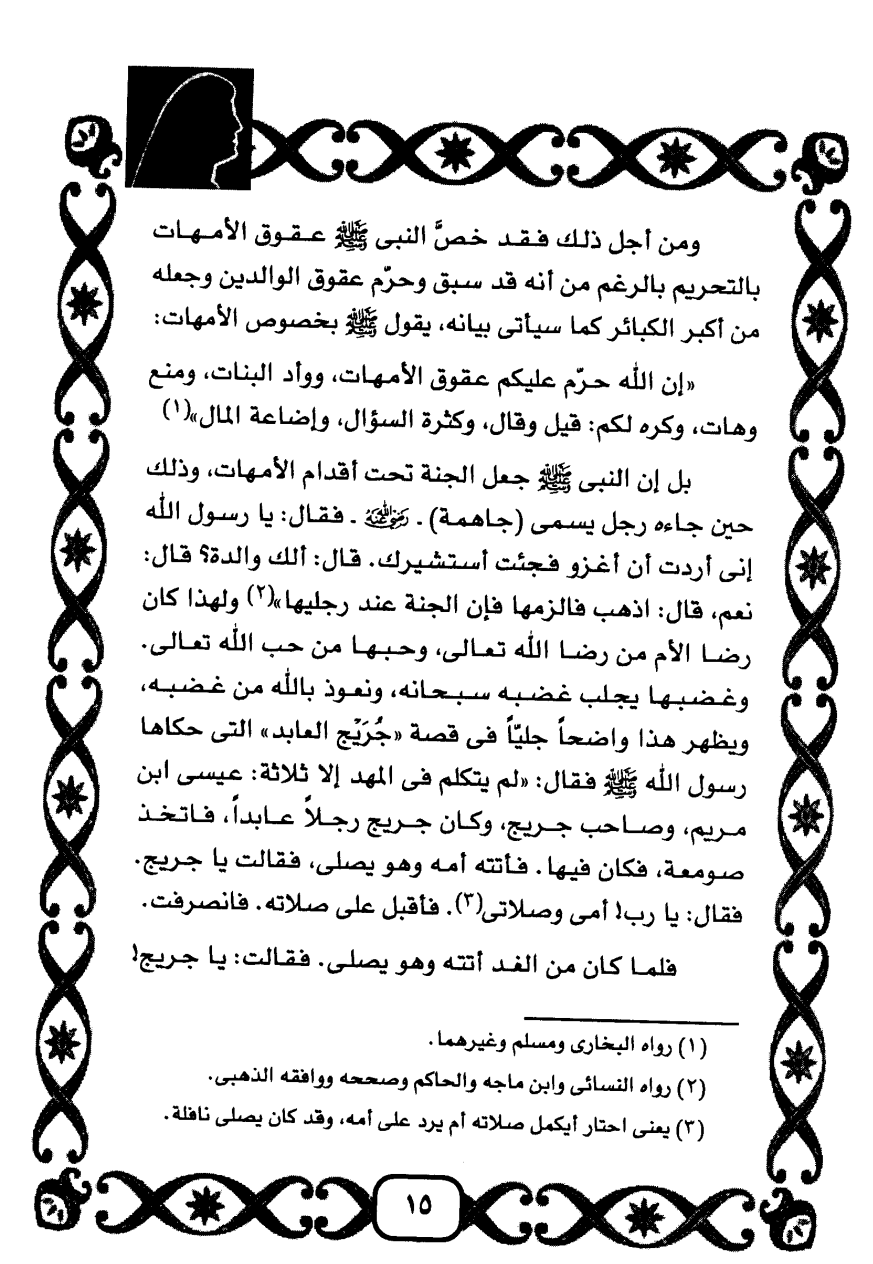
يعنى يبر الأقرب فالأقرب، وقد جاء هذا واضحاً فى حديث آخر؛ عند المقداد بن معديكرب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب**»(٣)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه النسائى وأحمد والحاكم وأبو داود بمثله.

(٣) رواه البيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ١٨٢) ورواه النسائى وابن حبان بلفظ قريب.



ومن أجل ذلك فقد خصَّ النبى ﷺ عقوق الأمهات بالتحريم بالرغم من أنه قد سبق وحرّم عقوق الوالدين وجعله من أكبر الكبائر كما سيأتى بيانه، يقول ﷺ بخصوص الأمهات:

«إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[(١)]

بل إن النبى ﷺ جعل الجنة تحت أقدام الأمهات، وذلك حين جاءه رجل يسمى (جاهمة) - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله إنى أردت أن أغزو فجئت أستشيرك. قال: ألك والدة؟ قال: نعم، قال: اذهب فالزمها فإن الجنة عند رجليها»[(٢)] ولهذا كان رضا الأم من رضا الله تعالى، وحبها من حب الله تعالى. وغضبها يجلب غضبه سبحانه، ونعوذ بالله من غضبه، ويظهر هذا واضحاً جليّاً فى قصة «جُرَيْج العابد» التى حكاها رسول الله ﷺ فقال: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عابداً، فاتخذ صومعة، فكان فيها. فأتته أمه وهو يصلى، فقالت يا جريج. فقال: يا رب! أمى وصلاتى[(٣)]. فأقبل على صلاته. فانصرفت.

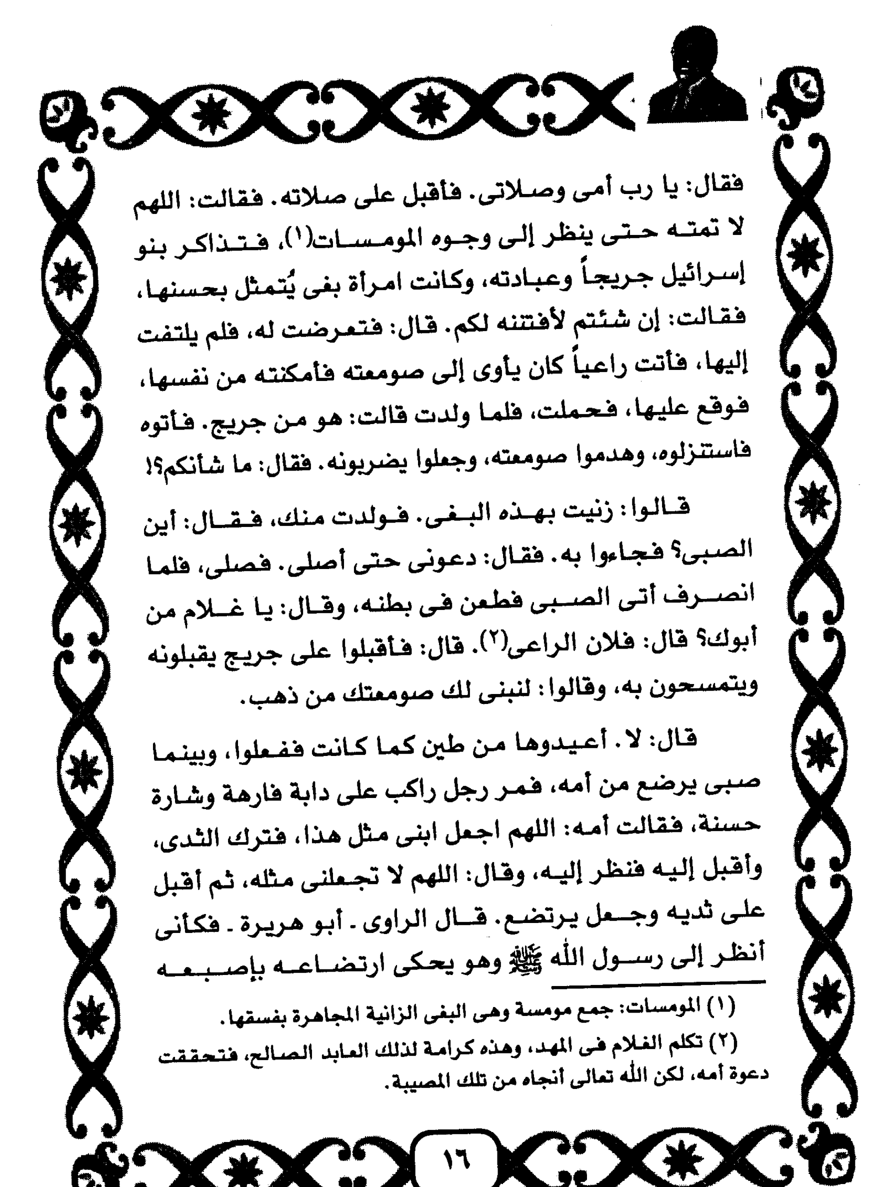
فلما كان من الغد أتته وهو يصلى. فقالت: يا جريج!

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) يعنى احتار أيكمل صلاته أم يرد على أمه، وقد كان يصلى نافلة.



فقال: يا رب أمى وصلاتى. فأقبل على صلاته. فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات(1)، فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغى يُتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم. قال: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه، وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه. فقال: ما شأنكم؟!

قالوا: زنيت بهذه البغى. فولدت منك، فقال: أين الصبى؟ فجاءوا به. فقال: دعونى حتى أصلى. فصلى، فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه، وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعى(2). قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: لنبنى لك صومعتك من ذهب.

قال: لا. أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا، وبينما صبى يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابنى مثل هذا، فترك الثدى، وأقبل إليه فنظر إليه، وقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديه وجعل يرتضع. قال الراوى - أبو هريرة - فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى ارتضاعه بإصبعه

(1) المومسات: جمع مومسة وهى البغى الزانية المجاهرة بفسقها.

(2) تكلم الغلام فى المهد، وهذه كرامة لذلك العابد الصالح، فتحققت دعوة أمه، لكن الله تعالى أنجاه من تلك المصيبة.



السبابة فى فمه، فجعل يمصها. قال: ومروا بجارية، وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، وهى تقول: حسبى الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابنى مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها. فقال: اللهم اجعلنى مثلها، فهناك تراجعا الحديث. فقالت: حلقى! مرَّ رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابنى مثله فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت. فقلت: اللهم لا تجعل ابنى مثلها، فقلت: اللهم اجعلنى مثلها.

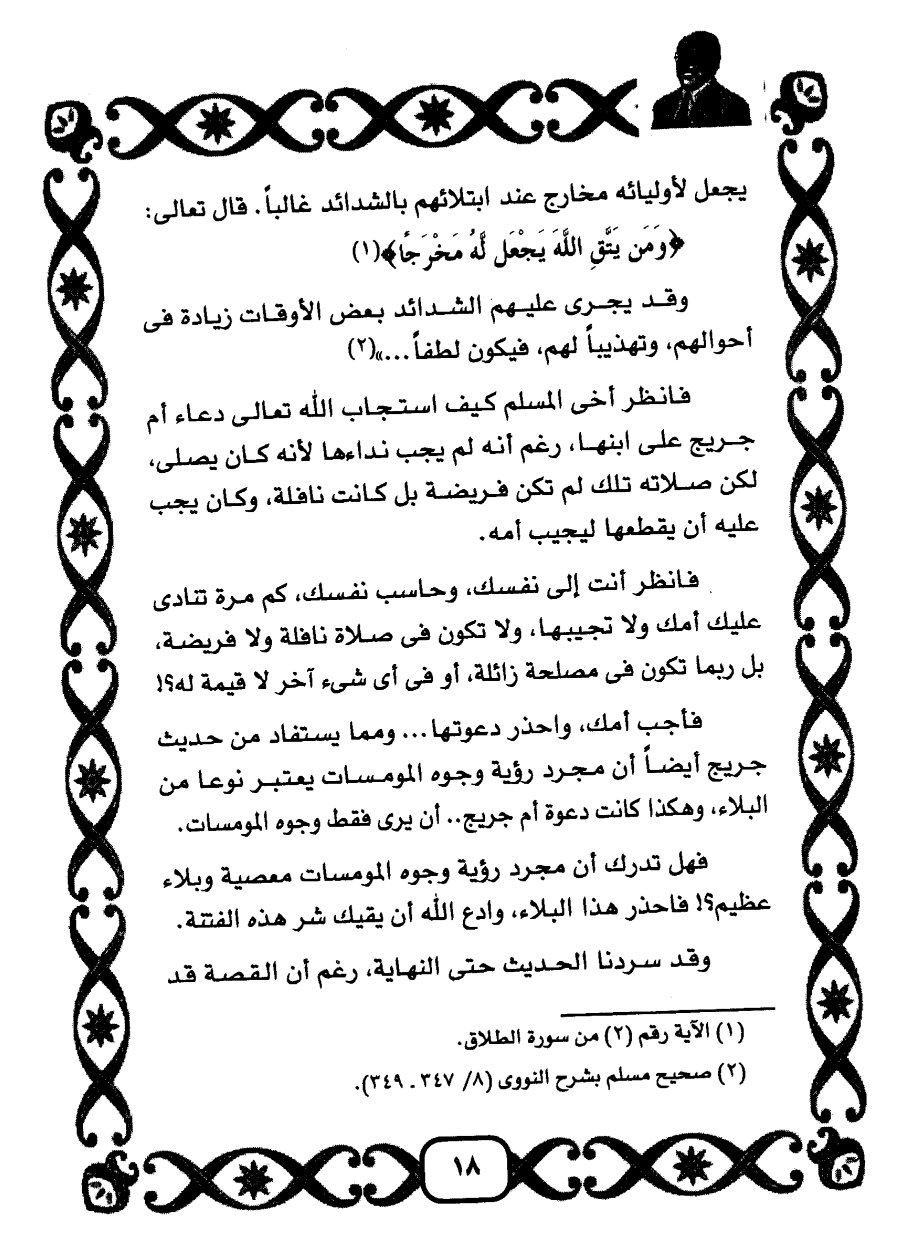
قال: إن ذاك الرجل كان جباراً. فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيت، سرقت. ولم تزن، ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلنى مثلها»(1)

قال النووى فى شرح هذا الحديث: «قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب فى حقه إجابتها، لأنه كان فى صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته»... ثم قال: «وفى حديث جريج هذا فوائد كثيرة:

منها: عظم بر الوالدين، وتأكد حق الأم، وأن دعاءها مجاب. وأنه إذا تعارضت الأمور بدئ بأهمها، وأن الله تعالى

---

(1) رواه البخارى ومسلم واللفظ له.



يجعل لأوليائه مخارج عند ابتلائهم بالشدائد غالباً. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾(١)

وقد يجرى عليهم الشدائد بعض الأوقات زيادة فى أحوالهم، وتهذيباً لهم، فيكون لطفاً...»(٢)

فانظر أخى المسلم كيف استجاب الله تعالى دعاء أم جريج على ابنها، رغم أنه لم يجب نداءها لأنه كان يصلى، لكن صلاته تلك لم تكن فريضة بل كانت نافلة، وكان يجب عليه أن يقطعها ليجيب أمه.

فانظر أنت إلى نفسك، وحاسب نفسك، كم مرة تنادى عليك أمك ولا تجيبها، ولا تكون فى صلاة نافلة ولا فريضة، بل ربما تكون فى مصلحة زائلة، أو فى أى شىء آخر لا قيمة له؟!

فأجب أمك، واحذر دعوتها... ومما يستفاد من حديث جريج أيضاً أن مجرد رؤية وجوه المومسات يعتبر نوعا من البلاء، وهكذا كانت دعوة أم جريج.. أن يرى فقط وجوه المومسات.

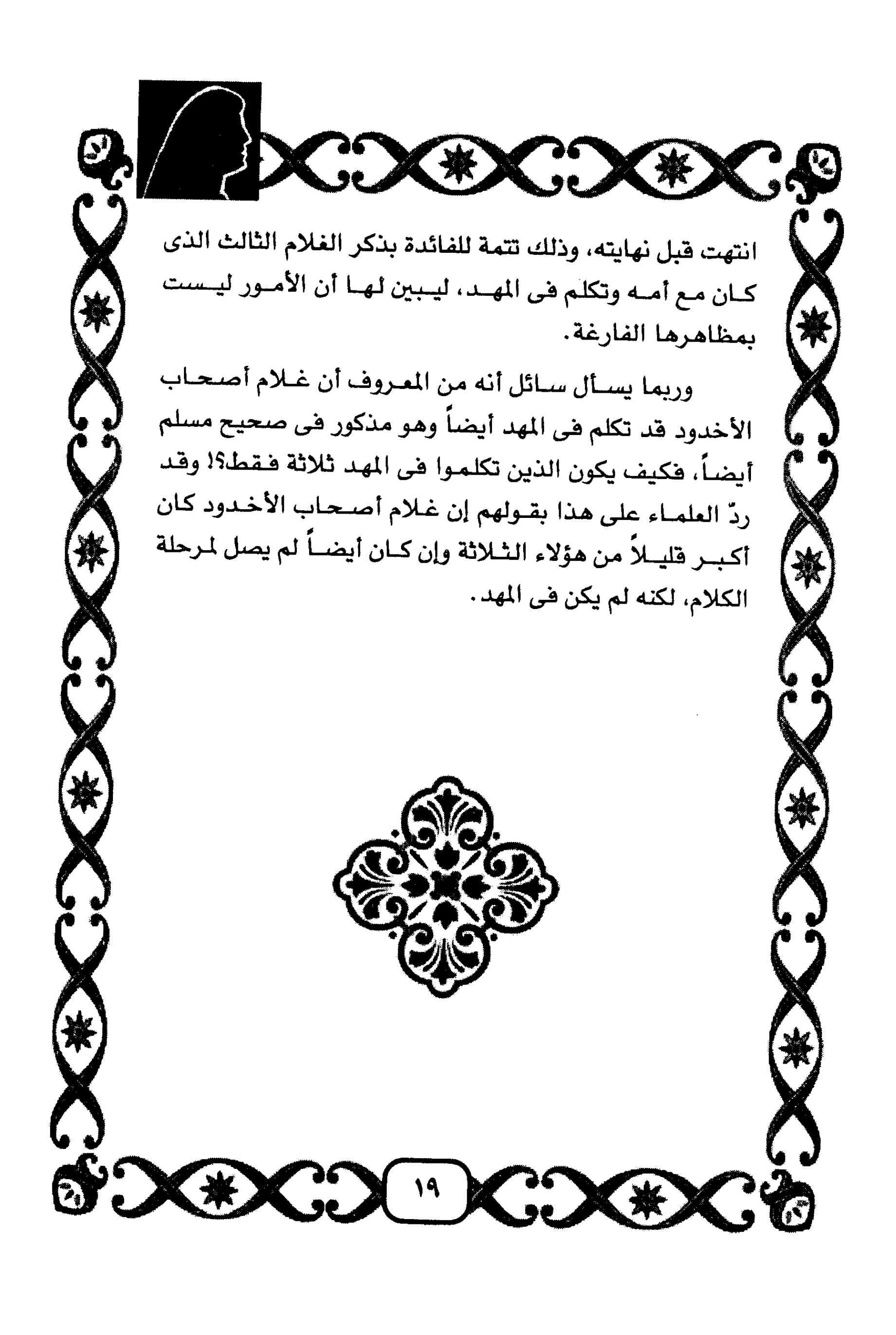
فهل تدرك أن مجرد رؤية وجوه المومسات معصية وبلاء عظيم؟! فاحذر هذا البلاء، وادع الله أن يقيك شر هذه الفتنة.

وقد سردنا الحديث حتى النهاية، رغم أن القصة قد

---

(١) الآية رقم (٢) من سورة الطلاق.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٨/ ٣٤٧ - ٣٤٩).



انتهت قبل نهايته، وذلك تتمة للفائدة بذكر الغلام الثالث الذى كان مع أمه وتكلم فى المهد، ليبين لها أن الأمور ليست بمظاهرها الفارغة.

وربما يسأل سائل أنه من المعروف أن غلام أصحاب الأخدود قد تكلم فى المهد أيضاً وهو مذكور فى صحيح مسلم أيضاً، فكيف يكون الذين تكلموا فى المهد ثلاثة فقط؟! وقد ردّ العلماء على هذا بقولهم إن غلام أصحاب الأخدود كان أكبر قليلاً من هؤلاء الثلاثة وإن كان أيضاً لم يصل لمرحلة الكلام، لكنه لم يكن فى المهد.



من فوائد بر الوالدين فى الدنيا

● بر الوالدين ينجى من المهالك: ويشهد لهذا الأمر حديث الثلاثة الذين سُدَّ عليهم الغار. حيث أن بر الوالدين كان سبباً من أسباب انفراج الصخرة، وزوال الغمة.

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

فقال رجل منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فناء بى فى طلب شىء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما[2] فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ومالاً، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر.

فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً..»[3] فهذا الذى صنعه الرجل يدل على شدة

---

(١) لا أغبق: بفتح الهمزة وضم الباء، ومعنى لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً: لا أقدم عليهما أحداً فى شرب نصيبهما عشاءً من اللبن.

(٢) الغبوق: شرب العشاء، والصبوح: شرب أول النهار. (ذكره النووى).

(٣) الحديث بهذا اللفظ رواه البخارى.



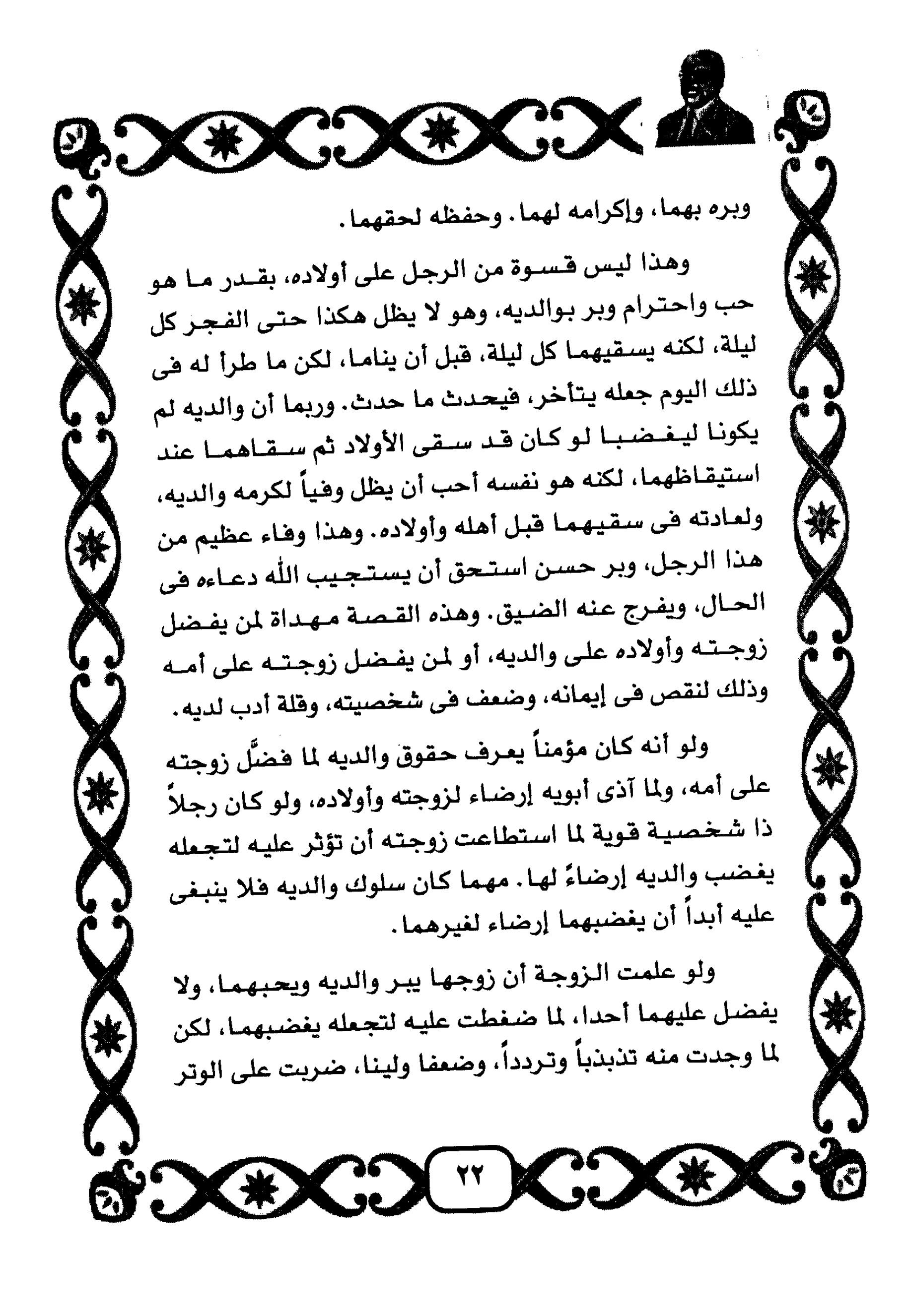
حبه والديه وبره بهما، هذا البر الذى جعله يكره أن يسقى امرأته وأولاده أو يشرب هو قبل والديه، فظل ممسكاً بالإناء، ينتظر استيقاظهما حتى الفجر.

رغم أن أولاده كانوا يتضاغون أمامه من شدة الجوع، وهذا ما جاء فى رواية مسلم للحديث حيث يقول الرجل «... إنه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى، ولى صبية صغار أرعى عليهم. فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدى فسقيتهما قبل بنىَّ، وإنه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقى الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمى، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج لنا منه فرجة نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء...»[(١)]

وقد يقول قائل: إنها قسوة أن يرى الأولاد هكذا يتضاغون من الجوع، ويظل يمسك بإناء اللبن منتظراً استيقاظ الوالدين، وربما هذا ما جعله يقول: «وأكره أن أسقى الصبية قبلهما».

يعنى هو يريد ذلك، لكن نفسه تأبى عليه أن يقدم أولاده على والديه فى الشراب، وذلك لحبه الشديد لهما،

(١) رواه مسلم.



وبره بهما، وإكرامه لهما. وحفظه لحقهما.

وهذا ليس قسوة من الرجل على أولاده، بقدر ما هو حب واحترام وبر بوالديه، وهو لا يظل هكذا حتى الفجر كل ليلة، لكنه يسقيهما كل ليلة، قبل أن يناما، لكن ما طرأ له فى ذلك اليوم جعله يتأخر، فيحدث ما حدث. وربما أن والديه لم يكونا ليغضبا لو كان قد سقى الأولاد ثم سقاهما عند استيقاظهما، لكنه هو نفسه أحب أن يظل وفياً لكرمه والديه، ولعادته فى سقيهما قبل أهله وأولاده. وهذا وفاء عظيم من هذا الرجل، وبر حسن استحق أن يستجيب الله دعاءه فى الحال، ويفرج عنه الضيق. وهذه القصة مهداة لمن يفضل زوجته وأولاده على والديه، أو لمن يفضل زوجته على أمه وذلك لنقص فى إيمانه، وضعف فى شخصيته، وقلة أدب لديه.

ولو أنه كان مؤمناً يعرف حقوق والديه لما فضَّل زوجته على أمه، ولما آذى أبويه إرضاء لزوجته وأولاده، ولو كان رجلاً ذا شخصية قوية لما استطاعت زوجته أن تؤثر عليه لتجعله يغضب والديه إرضاءً لها. مهما كان سلوك والديه فلا ينبغى عليه أبداً أن يغضبهما إرضاء لغيرهما.

ولو علمت الزوجة أن زوجها يبر والديه ويحبهما، ولا يفضل عليهما أحدا، لما ضغطت عليه لتجعله يغضبهما، لكن لما وجدت منه تذبذباً وتردداً، وضعفا ولينا، ضربت على الوتر



الحســاس، فـاحـذر أيهـا المسلم المؤمن البـار بوالديه، احـذر غـضب الله لغـضب الوالدين، ومـهـمـا كـان سلوك والـديك، فيـمكنك كسب ودهما ولو كـان ذلك على حسـاب مصلحـتك المادية، فما قيمة المادة والمال إذا غضب عليك الجبار؟!

اللهم ارض عنا، وارحم والدينا يا رب العالمين.

● «وعن أبى عبد الرحمن السلمى أن رجلاً أمـرته أمه أن يتزوج ثم أمـرته بطلاقها فسـأل أبا الدرداء فقـال: لا آمـرك بطلاق امرأتك، ولا آمرك أن تعق أمك.

وقال أبو الدرداء:

سـأحـدثك حديثاً، سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: **الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فاحفظ، وإن شئت فضيّع.**

قال الرجل: لا، بل أحفظ، فطلقها»[(1)]

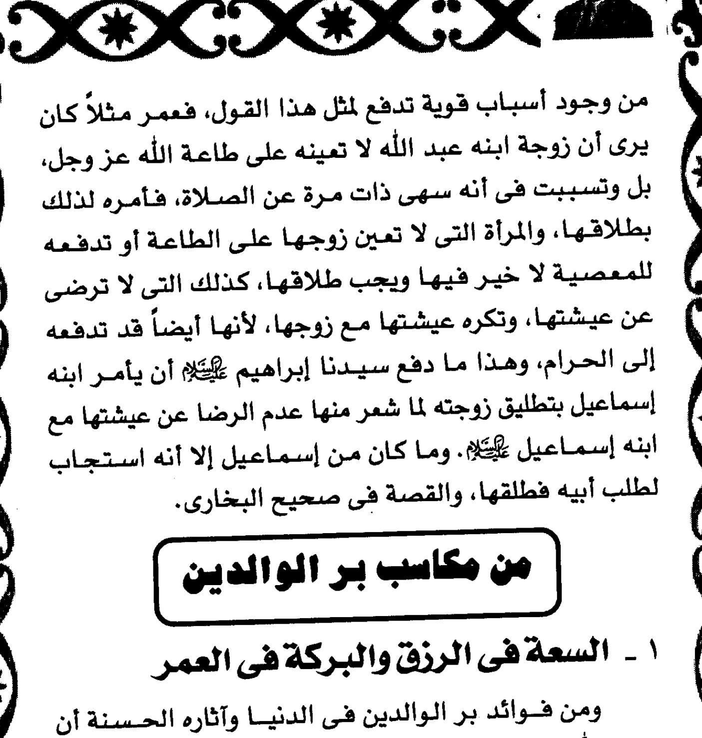
● عن عبـد الله بن عمـر - رضى الله عنهما - قـال: كانت لى امـرأة، كنت أحبهـا، وكان أبى يكرههـا، فـقـال لى: طلقـهـا، فأتيت النبى ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: طلقها، فطلقها (عبد الله)»[(2)]

وهـذا لا يعنى التساهل فى الطلاق لمجرد كلمة، بل لابد

---

(١) شعب الإيمان للبيهقى (١/ ٤٢٥).

(٢) شعب الإيمان للبيهقى (١/ ٤٢٥).



من وجود أسباب قوية تدفع لمثل هذا القول، فعمر مثلاً كان يرى أن زوجة ابنه عبد الله لا تعينه على طاعة الله عز وجل، بل وتسببت فى أنه سهى ذات مرة عن الصلاة، فأمره لذلك بطلاقها، والمرأة التى لا تعين زوجها على الطاعة أو تدفعه للمعصية لا خير فيها ويجب طلاقها، كذلك التى لا ترضى عن عيشتها، وتكره عيشتها مع زوجها، لأنها أيضاً قد تدفعه إلى الحرام، وهذا ما دفع سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يأمر ابنه إسماعيل بتطليق زوجته لما شعر منها عدم الرضا عن عيشتها مع ابنه إسماعيل عليه السلام. وما كان من إسماعيل إلا أنه استجاب لطلب أبيه فطلقها، والقصة فى صحيح البخارى.

من مكاسب بر الوالدين

١ - السعة فى الرزق والبركة فى العمر

ومن فوائد بر الوالدين فى الدنيا وآثاره الحسنة أن يوسع الله للعبد البار بوالديه فى رزقه ويبارك له فى عمره، ويذكره الناس بالخير بعد موته.

يقول ﷺ: **«من سرَّه أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أثره، فليصل رحمه»**[1]

---

(١) الحديث متفق عليه.



ولا شك أن بر الوالدين من أوصل الرحم، وأعظمها وأهمها، فليس أقرب للمرء من والديه، فهذه أمه التى حملته رحمها تسعة أشهر. وذاك أبوه الذى جعله الله تعالى من أسباب وجوده فى هذه الدنيا، وهو من رعاه ورباه وأغدق عليه الحب والحنان والعطايا المادية والمعنوية حتى كبر، وشب وأصبح رجلاً يعتمد على نفسه. لذلك قال ﷺ: «من برَّ والديه طوبى له، زاد الله عز وجل فى عمره»(١)

٢ ـ من برّ أبويه بره أبناؤه

إن بر الوالدين يتوارث، فمن كان باراً بوالديه يصبح أولاده فيما بعد من أبر الناس به. ومن عق والديه أراه الله تعالى عقوق أبنائه إياه.. فاختر لنفسك الطريق.

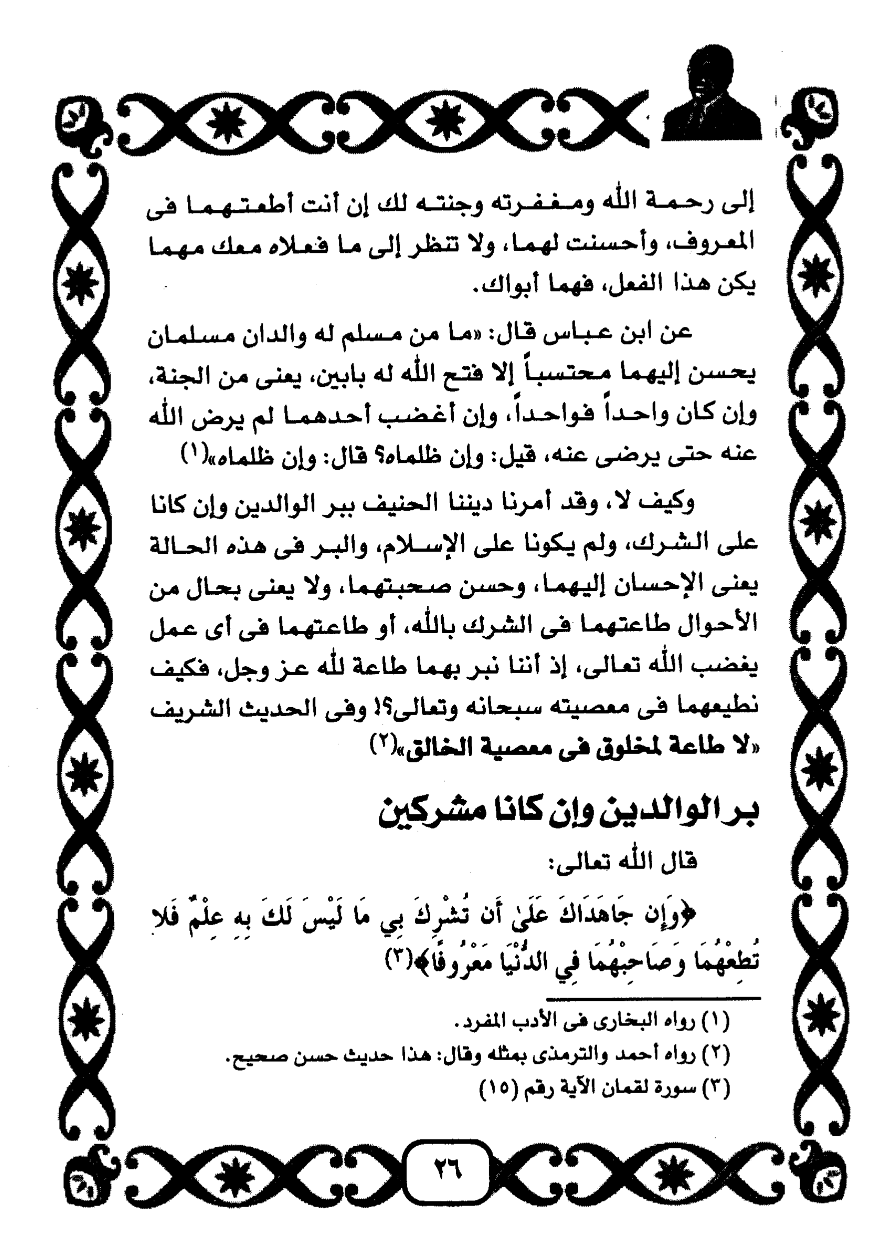
وهناك من القصص الكثير حول هذا الموضوع، ويكفى قول النبى ﷺ: «إن الود يتوارث»(٢)

بر والديك وإن ظلماك

وقد يقول قائل إن والدىَّ قد ظلمانى، فلم يعدلا بينى وبين إخوتى، أو لم يبذلا وسعهما فى تربيتى وكانا يستطيعان ذلك.. إلخ ومهما يكن فعل الوالدين معك فإن هذا لا يجعلك مطلقاً أن تعقهما أو تؤذيهما أو تغضبهما، فليكن برّك لهما لله تعالى، وابتغاء مرضاته. فأنت تبغى من برك لهما رضا الله عز وجل عنك، فمهما يكن من فعلهما تجاهك، فانظر

---

(١) البخارى فى الأدب المفرد. (٢) البخارى فى الأدب المفرد.



إلى رحمة الله ومغفرته وجنته لك إن أنت أطعتهما فى المعروف، وأحسنت لهما، ولا تنظر إلى ما فعلاه معك مهما يكن هذا الفعل، فهما أبواك.

عن ابن عباس قال: «ما من مسلم له والدان مسلمان يحسن إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين، يعنى من الجنة، وإن كان واحداً فواحداً، وإن أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه، قيل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه»[١]

وكيف لا، وقد أمرنا ديننا الحنيف ببر الوالدين وإن كانا على الشرك، ولم يكونا على الإسلام، والبر فى هذه الحالة يعنى الإحسان إليهما، وحسن صحبتهما، ولا يعنى بحال من الأحوال طاعتهما فى الشرك بالله، أو طاعتهما فى أى عمل يغضب الله تعالى، إذ أننا نبر بهما طاعة لله عز وجل، فكيف نطيعهما فى معصيته سبحانه وتعالى؟! وفى الحديث الشريف «**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**»[٢]

بر الوالدين وإن كانا مشركين

قال الله تعالى:

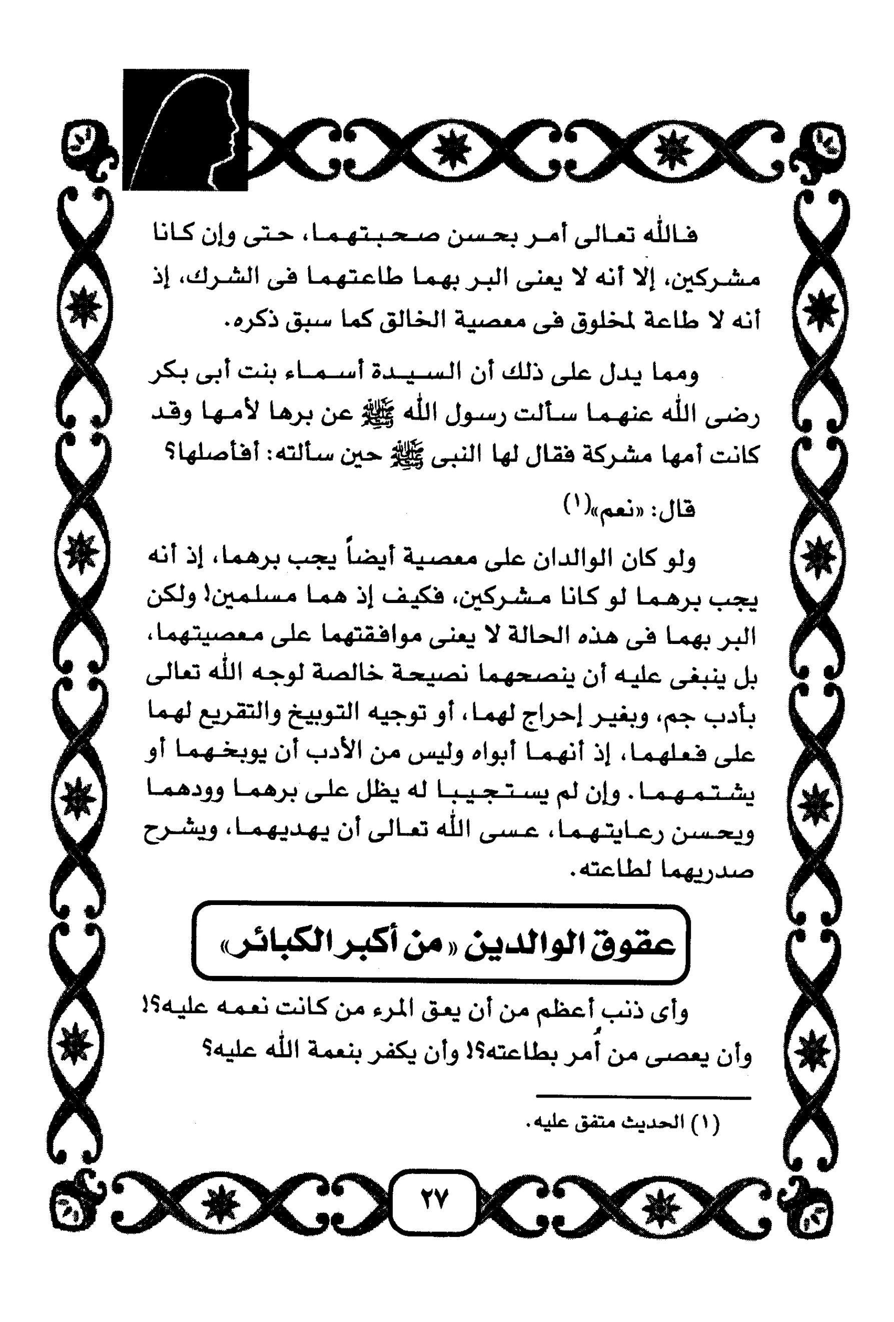
﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٣]

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

(٢) رواه أحمد والترمذى بمثله وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) سورة لقمان الآية رقم (١٥)



فالله تعالى أمر بحسن صحبتهما، حتى وإن كانا مشركين، إلا أنه لا يعنى البر بهما طاعتهما فى الشرك، إذ أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق كما سبق ذكره.

ومما يدل على ذلك أن السيدة أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما سألت رسول الله ﷺ عن برها لأمها وقد كانت أمها مشركة فقال لها النبى ﷺ حين سألته: أفأصلها؟

قال: «نعم»(١)

ولو كان الوالدان على معصية أيضاً يجب برهما، إذ أنه يجب برهما لو كانا مشركين، فكيف إذ هما مسلمين! ولكن البر بهما فى هذه الحالة لا يعنى موافقتهما على معصيتهما، بل ينبغى عليه أن ينصحهما نصيحة خالصة لوجه الله تعالى بأدب جم، وبغير إحراج لهما، أو توجيه التوبيخ والتقريع لهما على فعلهما، إذ أنهما أبواه وليس من الأدب أن يوبخهما أو يشتمهما. وإن لم يستجيبا له يظل على برهما وودهما ويحسن رعايتهما، عسى الله تعالى أن يهديهما، ويشرح صدريهما لطاعته.

عقوق الوالدين «من أكبر الكبائر»

وأى ذنب أعظم من أن يعق المرء من كانت نعمه عليه؟! وأن يعصى من أُمر بطاعته؟! وأن يكفر بنعمة الله عليه؟

---

(١) الحديث متفق عليه.



إن أعظم الذنوب الشرك بالله تعالى، لأن هو الخالق، وصاحب الفضل الأعظم على الإنسان، والفضل من وجوده فى هذه الحياة، وهو الذى أنعم عليه بنعمه ظاهرة وباطنة.

ويلى هذا الذنب العظيم عقوق الوالدين، اللذيْن جعلهما الله تعالى سبباً فى وجود الإنسان فى هذه الدنيا، واللذين لم يدخرا جهداً فى رعايته صغيراً وكبيراً.

لذا قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**»؟ ثلاثاً.

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً.

فقال: «ألا وقول الزور»، قال الراوى:

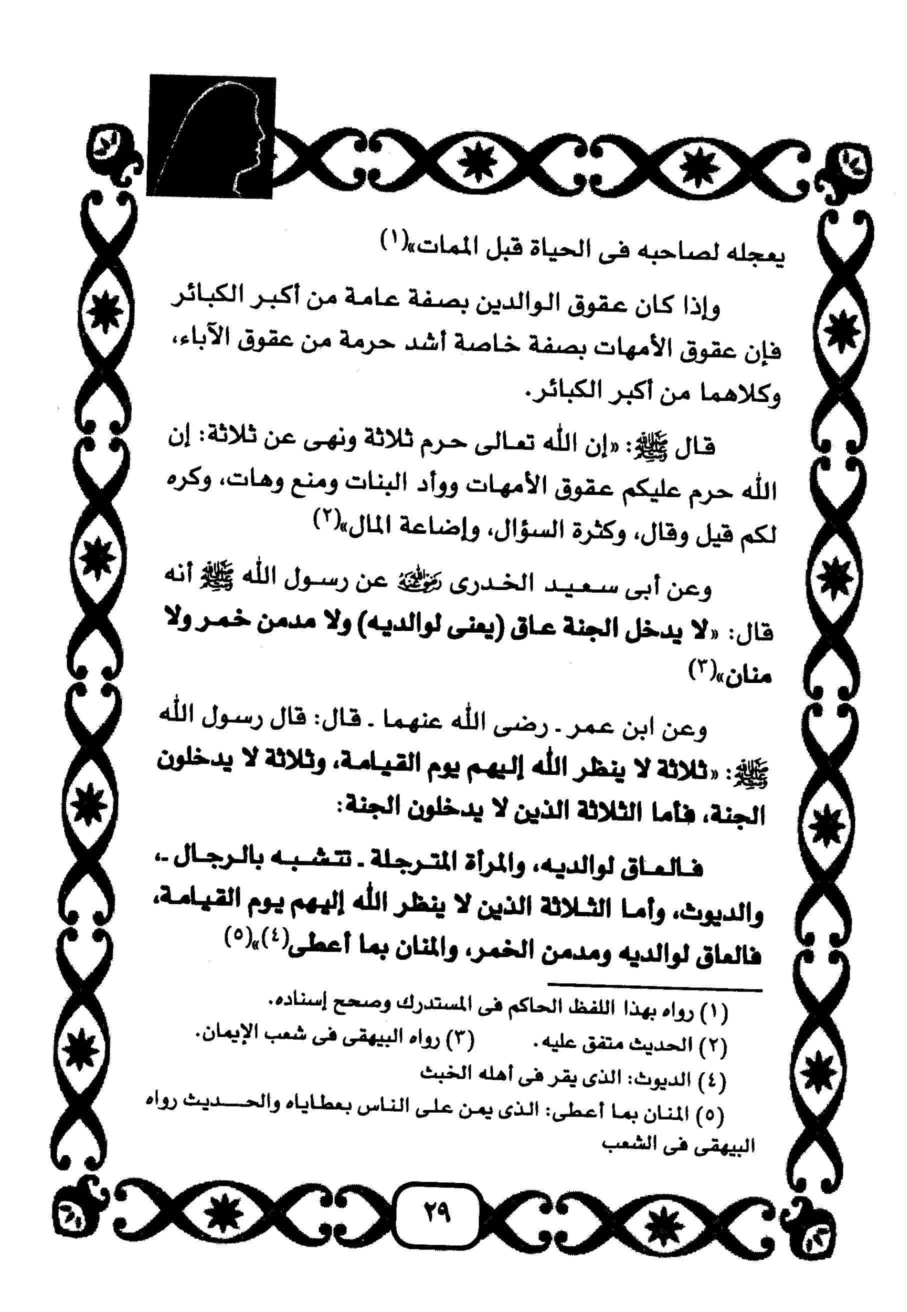
«فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(١)

فعقوق الوالدين ليس كبيرة، فحسب بل من أكبر الكبائر، وذنب من أعظم الذنوب، يلى مباشرة الإشراك بالله تعالى.. فتأمل واتعظ، واحذر العقوق.

فإن كل الذنوب هينة بجانب العقوق، عقوق الوالدين، وعقوق الوالدين ذنب تعجل عقوبته فى الدنيا.

عن أبى بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله تعالى

(١) الحديث متفق عليه واللفظ للبخارى.



يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات»(١)

وإذا كان عقوق الوالدين بصفة عامة من أكبر الكبائر فإن عقوق الأمهات بصفة خاصة أشد حرمة من عقوق الآباء، وكلاهما من أكبر الكبائر.

قال ﷺ: «إن الله تعالى حرم ثلاثة ونهى عن ثلاثة: إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»(٢)

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة عاق (يعنى لوالديه) ولا مدمن خمر ولا منان**»(٣)

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، وثلاثة لا يدخلون الجنة، فأما الثلاثة الذين لا يدخلون الجنة:**

فالعاق لوالديه، والمرأة المترجلة ـ تتشبه بالرجال ـ، والديوث، وأما الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، فالعاق لوالديه ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى(٤)»(٥)

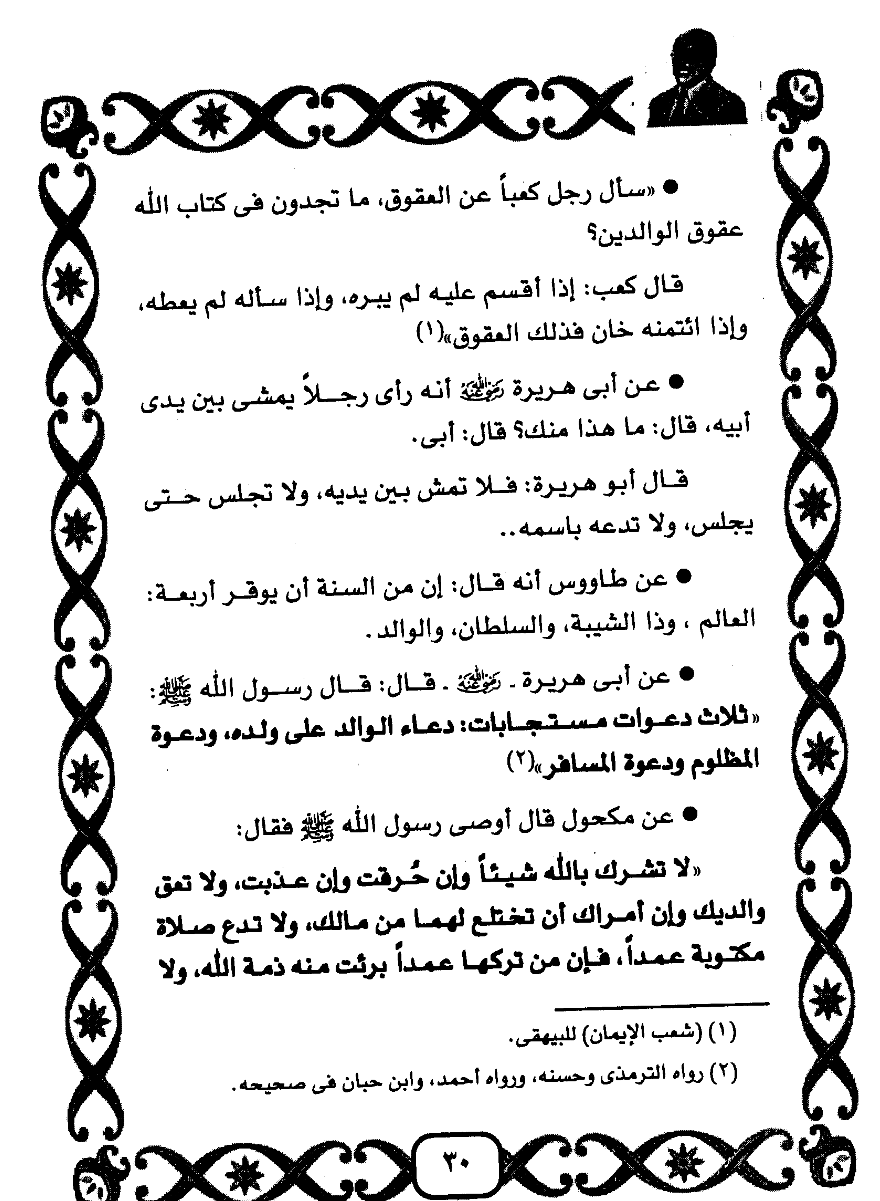
---

(١) رواه بهذا اللفظ الحاكم فى المستدرك وصحح إسناده.

(٢) الحديث متفق عليه. (٣) رواه البيهقى فى شعب الإيمان.

(٤) الديوث: الذى يقر فى أهله الخبث

(٥) المنان بما أعطى: الذى يمن على الناس بعطاياه والحديث رواه البيهقى فى الشعب



● «سأل رجل كعباً عن العقوق، ما تجدون فى كتاب الله عقوق الوالدين؟

قال كعب: إذا أقسم عليه لم يبره، وإذا سأله لم يعطه، وإذا ائتمنه خان فذلك العقوق»(١)

● عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يمشى بين يدى أبيه، قال: ما هذا منك؟ قال: أبى.

قال أبو هريرة: فلا تمش بين يديه، ولا تجلس حتى يجلس، ولا تدعه باسمه..

● عن طاووس أنه قال: إن من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذا الشيبة، والسلطان، والوالد.

● عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات: دعاء الوالد على ولده، ودعوة المظلوم ودعوة المسافر**»(٢)

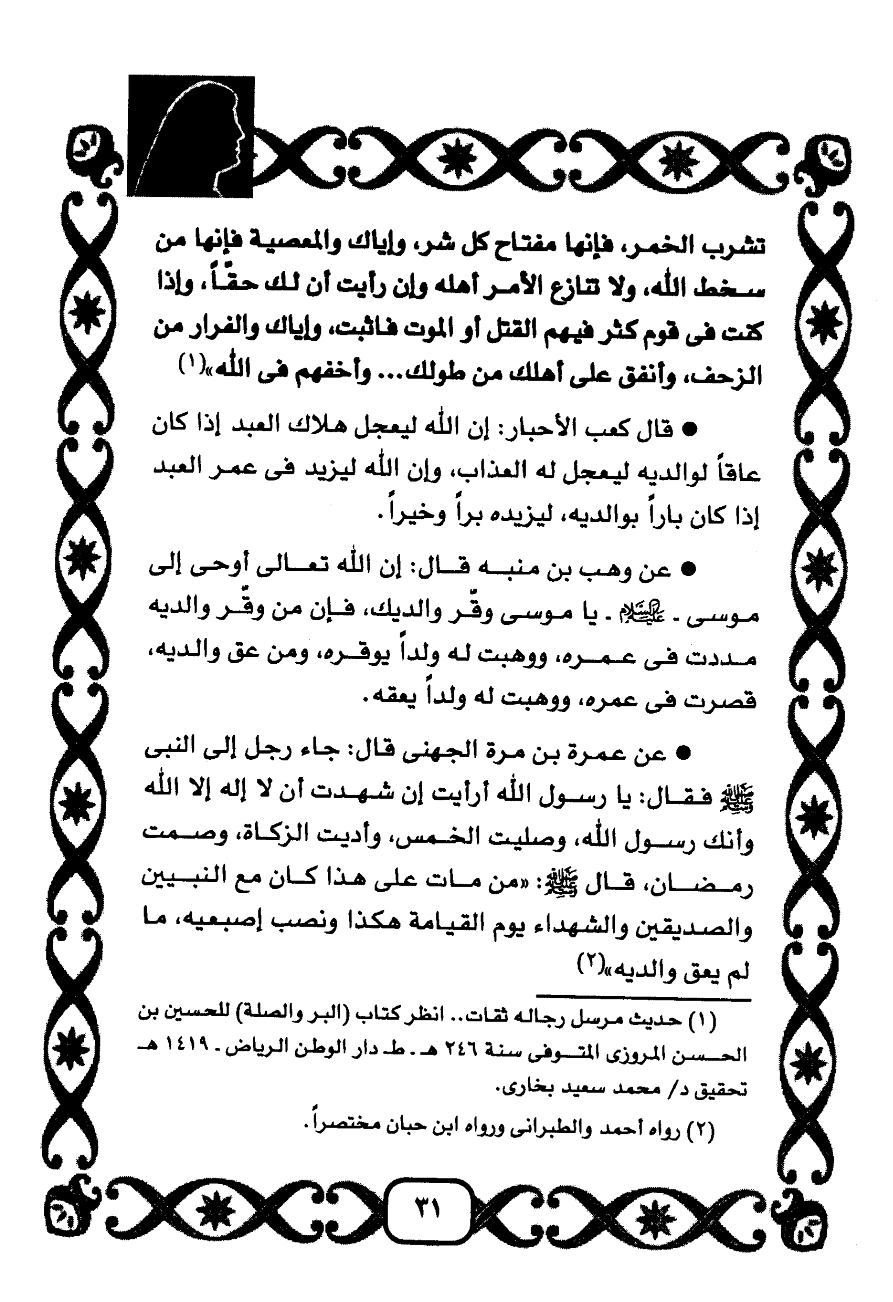
● عن مكحول قال أوصى رسول الله ﷺ فقال:

«**لا تشرك بالله شيئاً وإن حُرقت وإن عذبت، ولا تعق والديك وإن أمراك أن تختلع لهما من مالك، ولا تدع صلاة مكتوبة عمداً، فإن من تركها عمداً برئت منه ذمة الله، ولا**

---

(١) (شعب الإيمان) للبيهقى.

(٢) رواه الترمذى وحسنه، ورواه أحمد، وابن حبان فى صحيحه.



تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر، وإياك والمعصية فإنها من سخط الله، ولا تنازع الأمر أهله وإن رأيت أن لك حقاً، وإذا كنت فى قوم كثر فيهم القتل أو الموت فاثبت، وإياك والفرار من الزحف، وأنفق على أهلك من طولك... وأخفهم فى الله»(١)

● قال كعب الأحبار: إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب، وإن الله ليزيد فى عمر العبد إذا كان باراً بوالديه، ليزيده براً وخيراً.

● عن وهب بن منبه قال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى - عليه السلام - يا موسى وقّر والديك، فإن من وقّر والديه مددت فى عمره، ووهبت له ولداً يوقره، ومن عق والديه، قصرت فى عمره، ووهبت له ولداً يعقه.

● عن عمرة بن مرة الجهنى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، قال ﷺ: «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب إصبعيه، ما لم يعق والديه»(٢)

---

(١) حديث مرسل رجاله ثقات.. انظر كتاب (البر والصلة) للحسين بن الحسن المروزى المتوفى سنة ٢٤٦ هـ. ط. دار الوطن الرياض ـ ١٤١٩ هـ تحقيق د/ محمد سعيد بخارى.

(٢) رواه أحمد والطبرانى ورواه ابن حبان مختصراً.



لعن الله من لعن والديه

حين يصل الفجور مداه ببعض الناس ممن لا خلاق لهم فيلعن والديه، فإنه عندئذ لا يستحق إلا اللعن من الله تعالى.

عن أبى الطفيل عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من سرق منار الأرض، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً»(١)

وقد يلعن الرجل والديه بطريقة غير مباشرة، وذلك حين يلعن رجلاً آخر أو يسب والديه فيسب ذلك الرجل أباه وأمه، وهذا ما حذرنا منه النبى ﷺ حين قال:

«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»

قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟!

قال: **«يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»**(٢)

هذا وإن كثيراً من الناس يستهزأ بهذا الأمر، رغم أنه من الكبائر وليس من الصغائر، فترى كثيراً من الناس يشتمون آخرين بالأب وبالأم، ويشتم الآخرون آباءهم وأمهاتهم.

وقد جاء فى صحيح مسلم مثل ما ذكر سابقاً لكنه بلفظ «من الكبائر شتم الرجل والديه» وتكملة الحديث مثل

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد. (٢) متفق عليه واللفظ للبخارى.



حديث البخارى السابق فمجرد شتم الوالدين لشخص ما، هذا يعتبر من الكبائر لأنه يستتبع شتم والدى الرجل الأول، فيصبح هو نفسه قد شتم أو تسبب فى شتم والديه.

بر الوالدين بعد موتهما

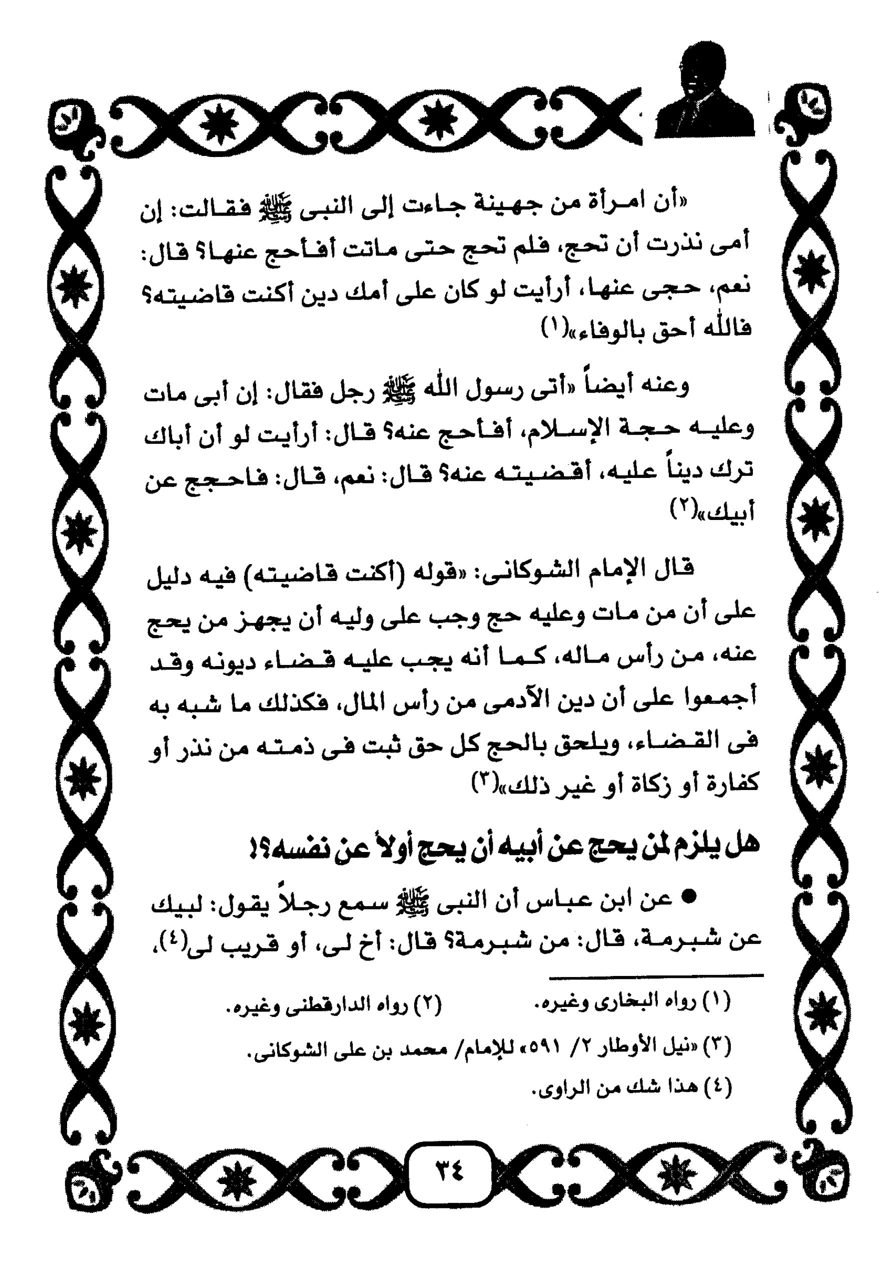
إن بر الوالدين لا يقتصر على برهما أثناء حياتهما الدنيا فقط، بل يمتد لحياة البرزخ، فيمكن أن تبر والديك بعد أن يتوفاهما الله تعالى، فإن كان والديك قد وافتهما المنية، فإن النبى ﷺ يرشدك كيف تقوم ببرهما عندئذ. فعن أبى أسيد - وكان بدرياً[(١)] - قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً، فجاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقى من بر والدىَّ فى موتهما شىء أبرهما به؟

قال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما، فهذا الذى بقى عليك»[(٢)]

فهذه الأمور الخمسة مما يجب على المرء الوفاء به لوالديه وهما ميتان، ومما يضاف لهذه الأمور: الحج عنهما إن لم يحجا. ويدل على ذلك ما جاء عن ابن عباس - رضى الله عنهما - حيث قال:

(١) يعنى ممن شهد بدراً، وقد قال عنهم النبى ﷺ: «لعل الله اطلع على قلوب أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم».

(٢) رواه البخارى وغيره.



«أن امـرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقـالت: إن أمى نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: نعم، حجى عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ فالله أحق بالوفاء»[1]

وعنه أيضاً «أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: إن أبى مات وعليه حجة الإسلام، أفأحج عنه؟ قال: أرأيت لو أن أباك ترك ديناً عليه، أقضيته عنه؟ قال: نعم، قال: فاحجج عن أبيك»[2]

قال الإمام الشوكانى: «قوله (أكنت قاضيته) فيه دليل على أن من مات وعليه حج وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه، من رأس ماله، كما أنه يجب عليه قضاء ديونه وقد أجمعوا على أن دين الآدمى من رأس المال، فكذلك ما شبه به فى القضاء، ويلحق بالحج كل حق ثبت فى ذمته من نذر أو كفارة أو زكاة أو غير ذلك»[3]

هل يلزم لمن يحج عن أبيه أن يحج أولاً عن نفسه؟!

● عن ابن عباس أن النبى ﷺ سمع رجلاً يقول: لبيك عن شبرمة، قال: من شبرمة؟ قال: أخ لى، أو قريب لى[4]،

---

(١) رواه البخارى وغيره. (٢) رواه الدارقطنى وغيره.

(٣) «نيل الأوطار ٢/ ٥٩١» للإمام/ محمد بن على الشوكانى.

(٤) هذا شك من الراوى.



قال: حججت عن نفسك؟ قال: لا.

قال: حج عن نفسك، ثم حج عن شبرمة»[١]

والحديث يدل على عدم جواز الحج عن الغير إلا أن يحج عن نفسه أولاً، وبهذا قال الجمهور، وقال البعض بجوازه، حيث رجحوا وقف الحديث السابق على ابن عباس، لكن قول الجمهور: إن رفعه أصح.

● عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من حج عن والديه بعد وفاتهما كتب له عتقاً من النار وكان للمحجوج عنهما أجر حجة تامة من غير أن ينقص من أجورهما شيئاً**»[٢]

هذا وباعتبار أن الحج دين على الوالدين يجب الوفاء به عند الاستطاعة، فيجب الحج عنهما تبعاً لذلك، كما يجب الوفاء بهذا الدين.

ويجب المسارعة بقضاء الديون التى على الوالدين وعدم الاستهانة بها، فقد قيل لابن طاووس فى دين أبيه: لو استنظرت الغرماء!

فقال: أستنظرهم وأبو عبد الرحمن عن منزله محبوس، فباع ما له ثمن ألف بخمس مائة (يعنى باع بضاعته بخسارة ليقضى دين أبيه).

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه ابن حبان.

(٢) رواه البيهقى فى (شعب الإيمان).



وقال الحسن: «شر الناس لميت أهله يبكون عليه، ولا يقضون دينه»

من حقوق بر الوالدين بعد موتهما

١ ـ الصلاة عليهما

٢ ـ الاستغفار لهما

ويشمل أيضاً الدعاء لهما بالمغفرة والرحمة، إذ أن دعاء الابن لوالديه مما يصل للوالدين، فيكون سبباً للمغفرة والرحمة لهما.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١)

قال الإمام النووى فى شرح هذا الحديث:

«.. قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له، إلا فى هذه الأشياء الثلاثة، لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك الصدقة الجارية، وهى الوقف.

وفيه فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح.. وفيه دليل لصحة أصل الوقف، وعظيم ثوابه، وبيان فضيلة العلم، والحث على الاستكثار منه، والترغيب فى توريثه بالتعليم

(١) رواه مسلم.



والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغى أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع. وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت، وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما، وكذلك قضاء الدين كما سبق، وأما الحج فيجزى عن الميت عند الشافعى وموافقيه، وهذا داخل فى قضاء الدين إن كان حجّاً واجباً، وإن كان تطوعاً وصَّى به وهو من باب الوصايا، وأما إذا مات وعليه صوم فالصحيح أن الولى يصوم عنه،.. وأما قراءة القرآن وجعل ثوابها للميت، والصلاة عنه ونحوها فمذهب الشافعى والجمهور أنها لا تلحق الميت، وفيها خلاف..»[1]

ولهذا فينبغى للمسلم أن يدعو ويستغفر لوالديه الميتين، وقد كان هذا حال السلف الصالح رضوان الله عليهم.

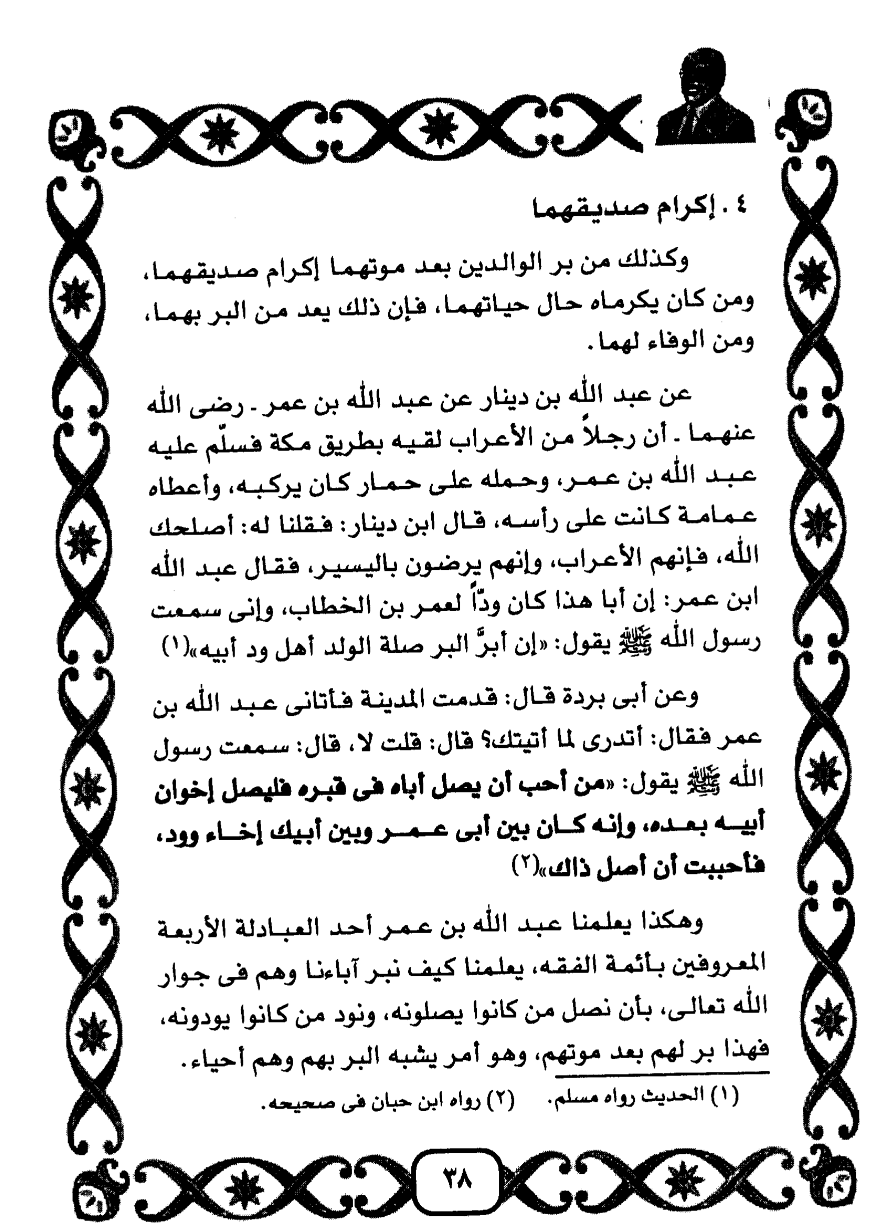
عن يحيى بن أبى كثير قال: حدثنى جعفر أنه سمع عروة بن الزبير يقول فى سجوده: اللهم اغفر للزبير بن العوام ولأسماء بنت أبى بكر (يعنى يدعو لأمه وأبيه فى الصلاة).

٣. إنفاذ عهدهما

وقد سبق الكلام عن وصية الوالدين وأنها واجبة التنفيذ، وينبغى ألاَّ يتباطأ الأولاد فى وصايا الوالدين ويعملوا على إنفاذ ما وصيا به، رجاء الثواب، وخوفاً من الإثم.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٦/ ٩٥، ٩٦) للإمام يحيى بن شرف الدين النووى - ط دار الحديث - مصر ١٤١٩ هـ.



٤ . إكرام صديقهما

وكذلك من بر الوالدين بعد موتهما إكرام صديقهما، ومن كان يكرماه حال حياتهما، فإن ذلك يعد من البر بهما، ومن الوفاء لهما.

عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلّم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله، فإنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله ابن عمر: إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أبرَّ البر صلة الولد أهل ود أبيه»(١)

وعن أبى بردة قال: قدمت المدينة فأتانى عبد الله بن عمر فقال: أتدرى لما أتيتك؟ قال: قلت لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل إخوان أبيه بعده، وإنه كان بين أبى عمر وبين أبيك إخاء وود، فأحببت أن أصل ذاك**»(٢)

وهكذا يعلمنا عبد الله بن عمر أحد العبادلة الأربعة المعروفين بأئمة الفقه، يعلمنا كيف نبر آباءنا وهم فى جوار الله تعالى، بأن نصل من كانوا يصلونه، ونود من كانوا يودونه، فهذا بر لهم بعد موتهم، وهو أمر يشبه البر بهم وهم أحياء.

(١) الحديث رواه مسلم. (٢) رواه ابن حبان فى صحيحه.



٥. صلة الرحم التى لا رحم إلا مِن قبلهما

وذلك بأن يصل المرء أقاربه من أمه وأبيه، فيصل خالاته وأخواله وعماته وأعمامه.. إلخ. ولقد اعتبر النبى ﷺ الخالة بمنزلة الأم، حيث إنها أختها، وبالطبع فإن الأم كانت تودها وتحبها وتصلها، وتبرها، إذن فمن البر أن يبرها الإنسان كما كان يبر أمه، فهى فى منزلتها.

وقد «أتى النبى ﷺ رجل فقال: إنى أذنبت، فهل لى من توبة؟

فقال النبى ﷺ: «هل لك من أم»؟

قال: لا

قال: «فهل لك من خالة»؟

قال: نعم، قال: «فبرها»[1]

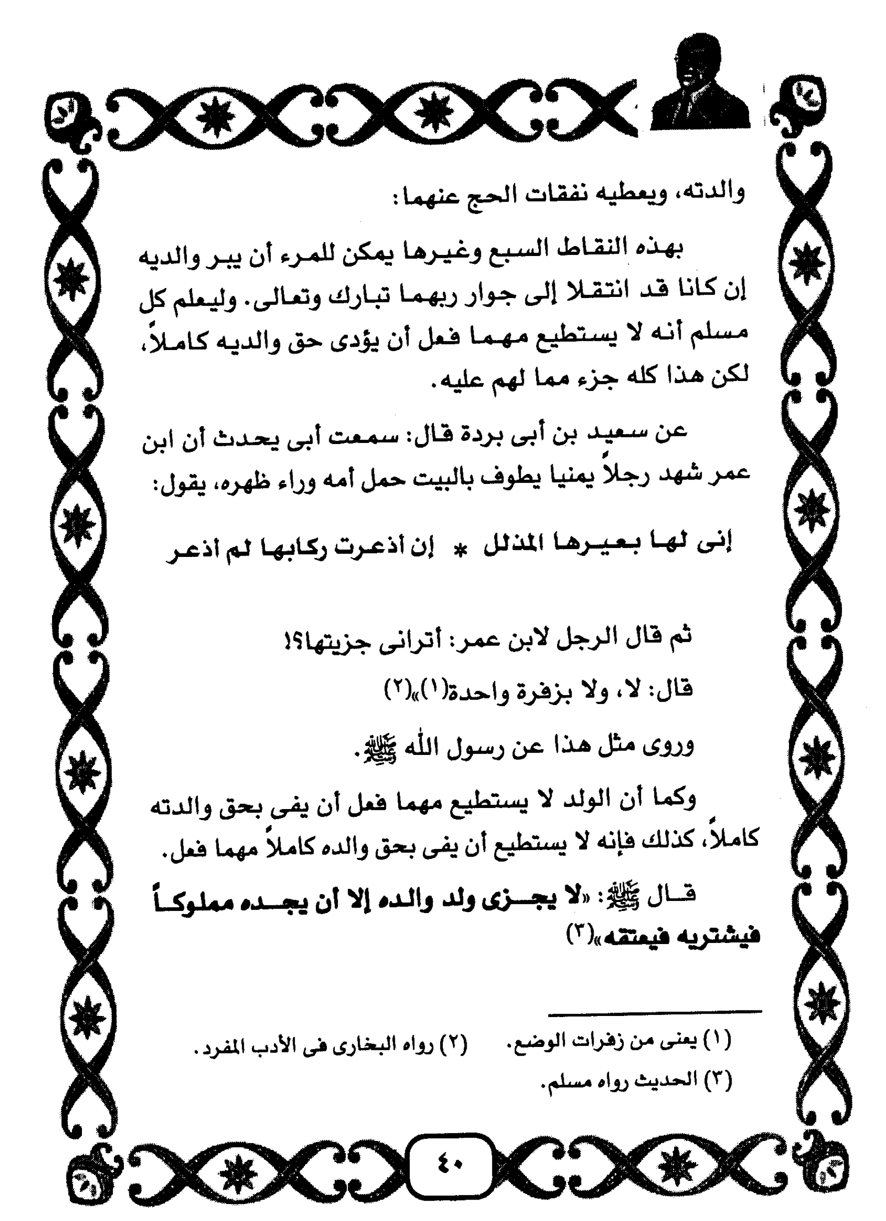
٦. قضاء ديونهما

وقد سبق الحديث عن أهمية قضاء الدين الذى على الوالدين، والإسراع بسداده، حرصاً على عفو الله للوالدين ومغفرته لهما ورضوانه عنهما، حيث إن الدين من الأمور التى يشدد عليها الحساب يوم الدين.

٧. الحج عنهما إن لم يسبق لهما الحج

وقد سبق الحديث أيضاً عنه، وعن ضرورته إذا استطاع الولد ذلك، كما يمكنه أن يكلف غيره ليحج عن والده أو

(١) رواه الترمذى وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبى.



والدته، ويعطيه نفقات الحج عنهما:

بهذه النقاط السبع وغيرها يمكن للمرء أن يبر والديه إن كانا قد انتقلا إلى جوار ربهما تبارك وتعالى. وليعلم كل مسلم أنه لا يستطيع مهما فعل أن يؤدى حق والديه كاملاً، لكن هذا كله جزء مما لهم عليه.

عن سعيد بن أبى بردة قال: سمعت أبى يحدث أن ابن عمر شهد رجلاً يمنيا يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره، يقول:

إنى لها بعيرها المذلل * إن اذعرت ركابها لم اذعر

ثم قال الرجل لابن عمر: أترانى جزيتها؟!

قال: لا، ولا بزفرة واحدة[1]»[2]

وروى مثل هذا عن رسول الله ﷺ.

وكما أن الولد لا يستطيع مهما فعل أن يفى بحق والدته كاملاً، كذلك فإنه لا يستطيع أن يفى بحق والده كاملاً مهما فعل.

قال ﷺ: «**لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**»[3]

---

(١) يعنى من زفرات الوضع. (٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد.

(٣) الحديث رواه مسلم.



موعظة فى ترك العقوق

يقول عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما -: «ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها:

● إحداها: قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(1)

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول ﷺ لم يقبل منه.

● الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(2)

فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.

● الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾(3)

فمن شكر لله، ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه، ولذا قال رسول الله ﷺ: «**رضى الله فى رضى الوالدين، وسخط الله فى سخط الوالدين**».

سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن «أصحاب الأعراف» فقال: «أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار، وإنما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون، وأما الرجال الذين يكونون عليه (أصحاب الأعراف) فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم، وأمهاتهم، فقتلوا فى الجهاد، فمنعهم القتل فى سبيل

---

(1) سورة المائدة الآية (92).

(2) سورة البقرة الآية (43). (3) سورة لقمان الآية (14).



الله عن دخـول النار، ومنعـهم عـقـوق الـوالدين[1] عن دخـول الجنة. فهم على الأعراف، حتى يقضى الله فيهم أمره.

ذكر الإمام الحافظ الذهبى فى كتابه (الكبائر) عقوق الوالدين، وعقوبته وذمه، ثم أتبع ذلك بموعظة بليغة رأينا أن ننقلها هنا بنصفها، علَّ الله تعالى أن يجعل فيها زجراً لكل من تسول له نفسه عصيان والديه، أو نهرهما أو حتى أن يقول لهما (أف) على سبيل التسخط والتضجر. يقول الحافظ الذهبى:

«أيها المضيع لآكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسى لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشين، تطلب الجنة بزعمك، وهى تحت أقدام أمك، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج، وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثدييها لبنا، وأطارت لأجلك وسناً[2]، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذا، وصيَّرت حجرها لك مهداً، وأنالتك إحساناً ورفداً، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك

(١) يقصد هنا عدم رضاهما عن ذهابه للجهاد فى حال ما يكون الجهاد فرض كفاية كما سبق بيانه.

(٢) يقصد: نوماً.



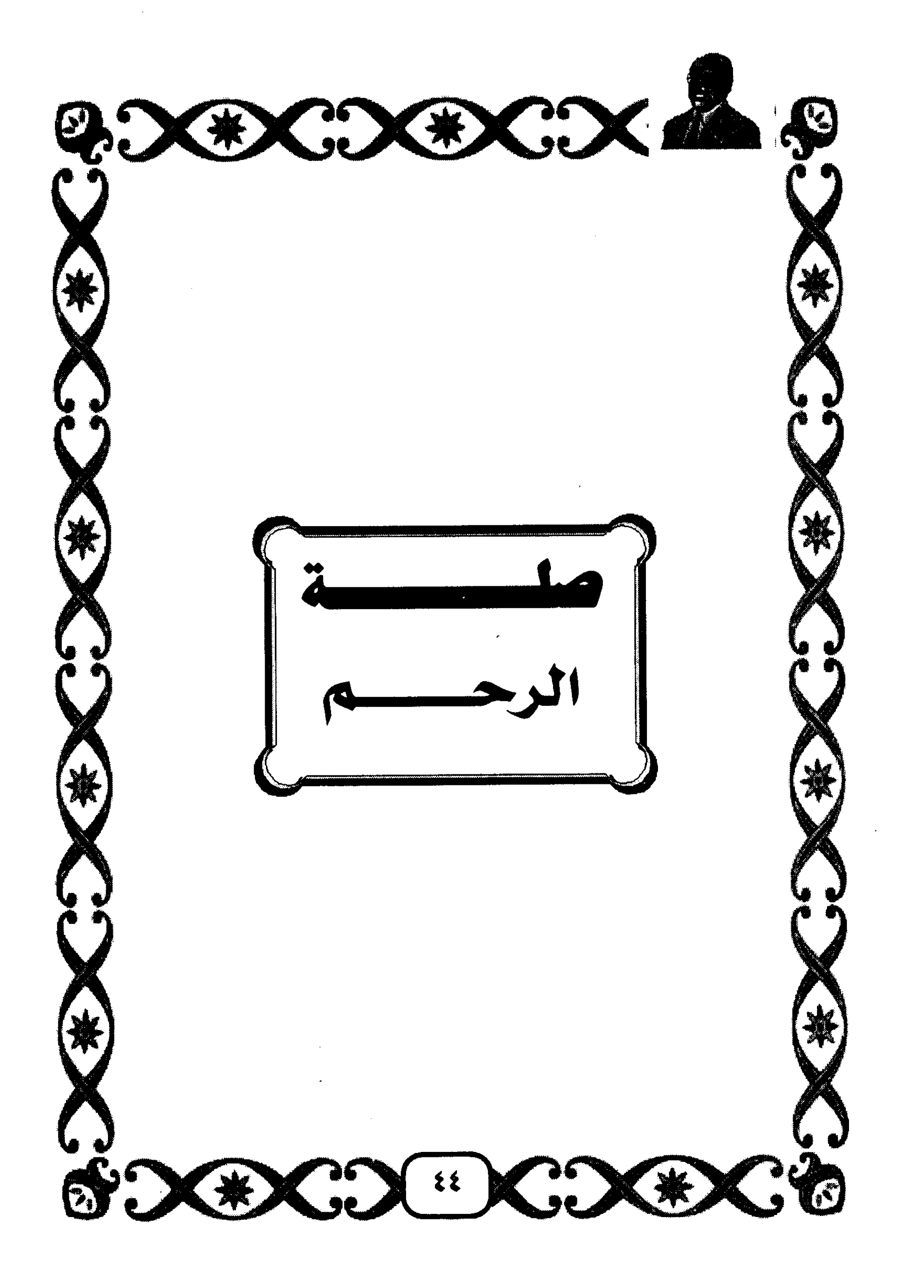
وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا وكم عاملتها بسوء الخُلق مراراً، فدعت لك بالتوفيق سرّاً وجهارا، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها أهون الأشياء عليك، فشبعت وهى جائعة، ورويت وهى قانعة، وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان، وصعب عليك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، هجرتها ومالها سواك نصير!

هذا ومولاك قد نهاك عن التأفف، وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف، ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين، وفى آخرتك بالبعد عن رب العالمين.

يناديك بلسان التوبيخ والتهديد، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد.

لأمك حق لو علمت كثير، فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى ولها أنّة وزفير.. وكم غسلت عنك الأذى بيمينها وما حجرها إلا لديك سرير.

وتفديك مما تشتكيه بنفسها، ومن ثديها شرب لديك نمير، وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها حناناً وإشفاقاً وأنت صغير، فآهاً لذى عقل ويتبع الهوى، وآهاً لأعمى القلب وهو بصير، فدونك فارغب فى عميم دعائها.. فأنت لما تدعو إليه فقير»



صلـــة الرحـــم



فرض صلة الرحم

قد يعتبر البعض صلة الرحم أمراً ثانوياً، أو يظن أنها مندوبة، غير واجبة ولا مفروضة من رب العالمين، مع أنها من أوجب الواجبات، وأعظم الفرائض، كما أنها قربة من أعظم القربات إلى الله تعالى.

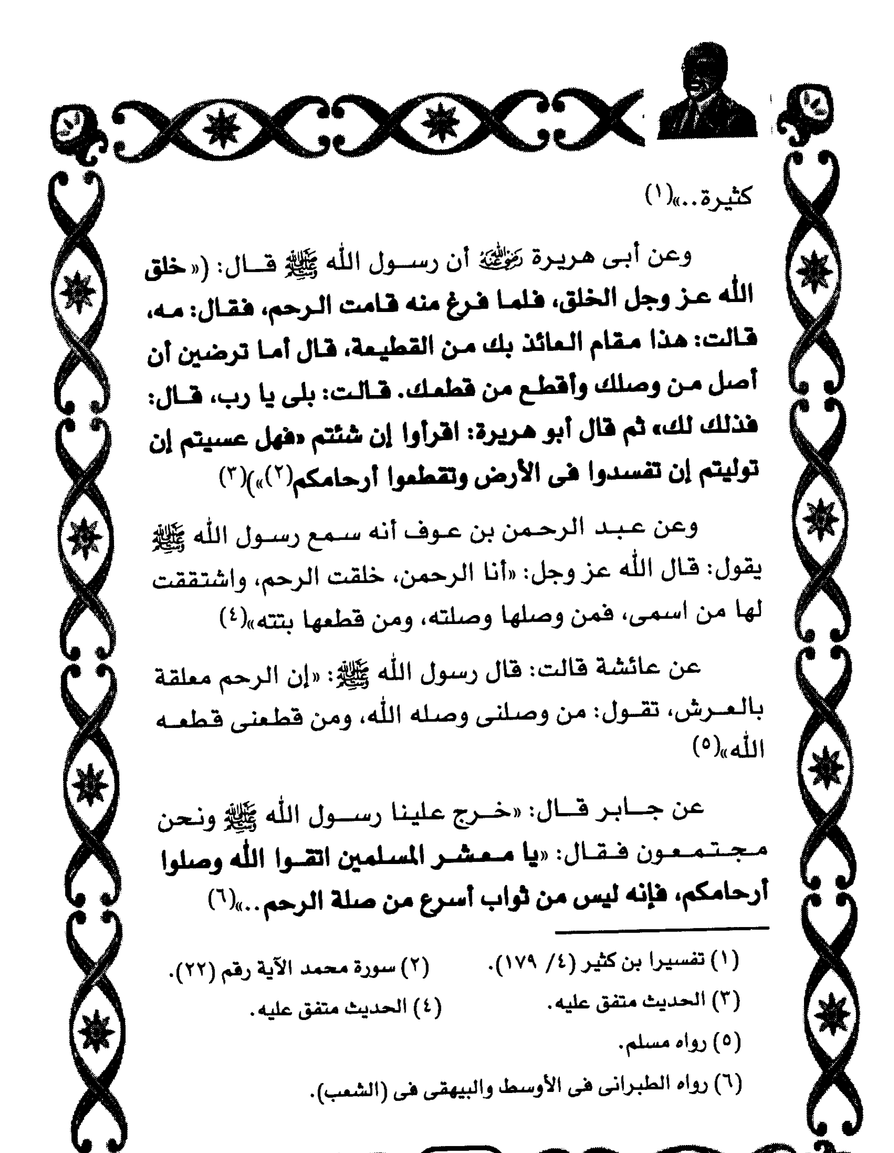
وقد قرن الله تعالى بين قطيعة الأرحام والإفساد فى الأرض، حيث إنهما صنوان، وقطيعة الرحم طريق للإفساد فى الأرض.

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(١)

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيرها: «أى تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون دماءكم، وتقطعون الأرحام، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾(٢)

وهذا نهى عن الفساد فى الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل أمر الله تعالى بالإصلاح فى الأرض، وصلة الأرحام، وهى الإحسان إلى الأقارب فى المقال والأفعال، وبذل الأموال، وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه

(١) سورة محمد الآية رقم (٢٢). (٢) سورة محمد الآية رقم (٢٣).



كثيرة..»(1)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قـال: («**خلق الله عز وجل الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك. قالت: بلى يا رب، قال: فذلك لك» ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم «فهل عسيتم إن توليتم إن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم**(2)»)(3)

وعن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «أنا الرحمن، خلقت الرحم، واشتققت لها من اسمى، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»(4)

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله»(5)

عن جابر قال: «خرج علينا رسـول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال: «**يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم، فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم..**»(6)

---

(1) تفسيرا بن كثير (٤/ ١٧٩). (2) سورة محمد الآية رقم (٢٢).
(3) الحديث متفق عليه. (4) الحديث متفق عليه.
(5) رواه مسلم.
(6) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى (الشعب).



عن أبى هريرة قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»[١]

سئل رسول الله ﷺ: أى الناس أفضل؟

قال: «**أتقاهم لله، وأوصلهم لرحمه، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر**»[٢]

يقول أبو ذر - رضي الله عنه - «أوصانى خليلى ﷺ بصلة الرحم وإن أدبرت، وأمرنى أن أقول الحق ولو كان مراً»[٣]

عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال:

«الراحمون يرحمهم الله، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء، والرحم شجنة من الرحمن، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»[٤]

عن أبى أيوب الأنصارى أن أعرابيّاً عرض على النبى ﷺ فى مسيرة فقال: أخبرنى ما يقربنى من الجنة، ويباعدنى من النار، قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم»[٥]

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد والطبرانى بإسناد حسن.

(٣) رواه أحمد وابن حبان.

(٤) رواه أحمد والترمذى وقال: (هذا حديث حسن صحيح).

(٥) رواه البخارى فى الأدب المفرد.



مما سبق يظهر أهمية صلة الرحم، ووجوبها على كل مسلم، حتى إن الإمام البخارى أفرد لها باباً بعنوان (وجوب صلة الرحم) فى كتابه (الأدب المفرد)، ولا يخلو كتاب من كتب الحديث من ذكر صلة الرحم والحث عليها والتحذير من قطعها، فاحرص أخى المسلم على صلة رحمك، واعلم أن الرحم درجات، فعليك بالأقرب فالأقرب كما سنين لاحقاً.

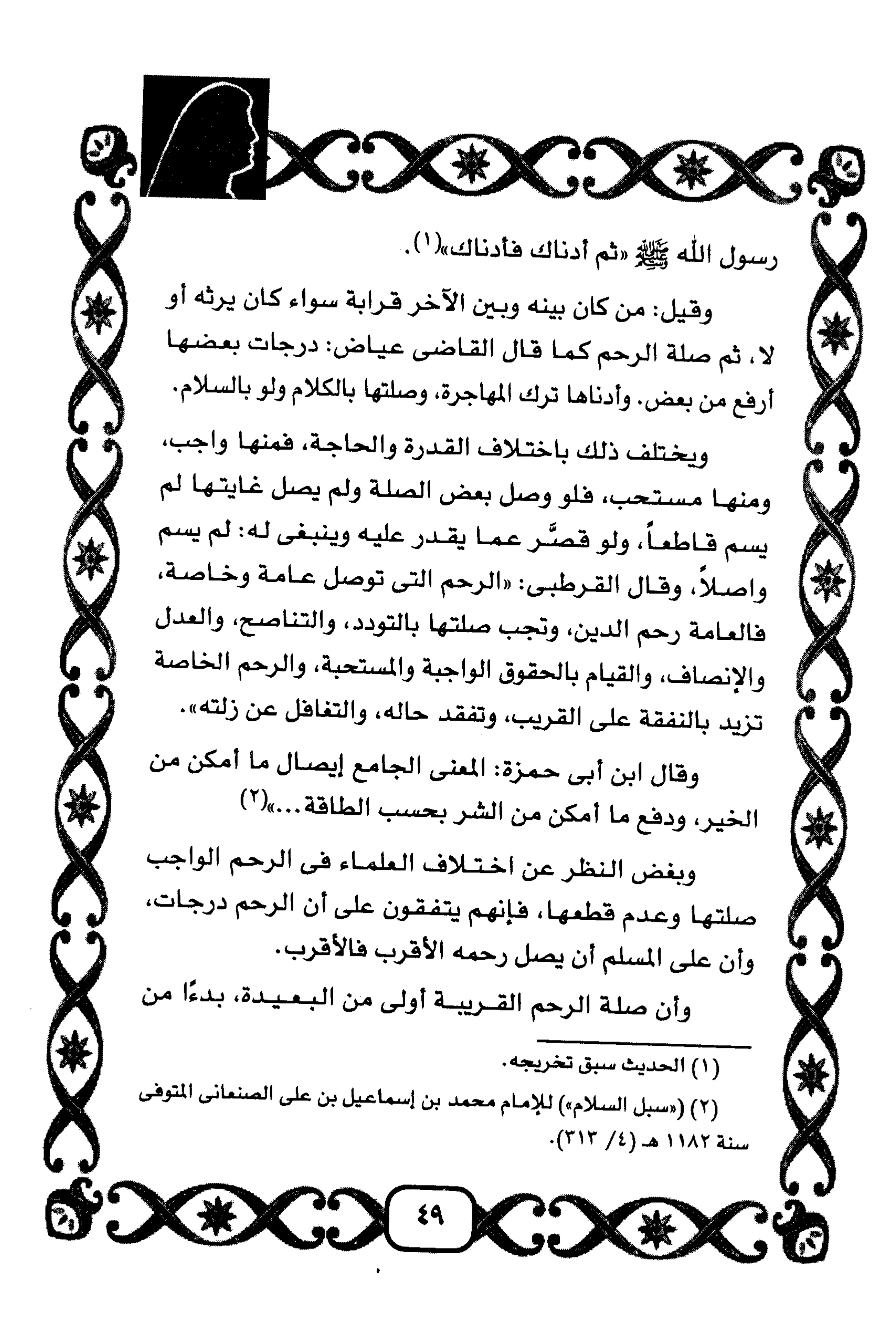
ما الرحم التى يجب أن توصل؟

سبق الحديث عن وجوب صلة الأرحام، وأنها من أحب الأعمال إلى الله تعالى. وقربة من أعظم القربات إليه عز وجل، ولكن ما هى الرحم التى يجب أن توصل؟ وهل هى درجات حسب القرب والبعد؟

أم أنها درجة واحدة؟

قال صاحب (سبل السلام): «.. واعلم أنه اختلف العلماء فى حد الرحم التى يجب صلتها، فقيل: هى الرحم التى يحرم النكاح بينهما بحيث لو كان أحدهما ذكراً حرم على الآخر، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال، واحتج بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فى النكاح لما يؤدى من التقاطع.

وقيل: هو من كان متصلاً بميراث، ويدل عليه قول



رسول الله ﷺ «ثم أدناك فأدناك»[1].

وقيل: من كان بينه وبين الآخر قرابة سواء كان يرثه أو لا، ثم صلة الرحم كما قال القاضى عياض: درجات بعضها أرفع من بعض. وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام.

ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب، فلو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لم يسم قاطعاً، ولو قصَّر عما يقدر عليه وينبغى له: لم يسم واصلاً، وقال القرطبى: «الرحم التى توصل عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين، وتجب صلتها بالتودد، والتناصح، والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة، والرحم الخاصة تزيد بالنفقة على القريب، وتفقد حاله، والتغافل عن زلته».

وقال ابن أبى حمزة: المعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة...»[2]

وبغض النظر عن اختلاف العلماء فى الرحم الواجب صلتها وعدم قطعها، فإنهم يتفقون على أن الرحم درجات، وأن على المسلم أن يصل رحمه الأقرب فالأقرب.

وأن صلة الرحم القريبة أولى من البعيدة، بدءًا من

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) («سبل السلام») للإمام محمد بن إسماعيل بن على الصنعانى المتوفى سنة ١١٨٢ هـ (٤/ ٣١٣).



الإخوة والأخوات، والأخوال والخالات، والأعمام والعمات... وانتهاءً بمجموع المسلمين..

باعتبار أن الرحم قسمان كما ذكر القرطبى: رحم عامة، ورحم خاصة. فالرحم الخاصة هم الأقارب بدرجاتهم المختلفة والرحم العامة هم جموع المسلمين.

والمسلم مأمور بأن يصل أخاه المسلم ويحبه، ويحب له ما يحب لنفسه من الخير، والحب فى الله طريق للجنة كما هو معروف، والمتحابون فى الله على منابر من نور يوم القيامة. وهم ممن يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

الصدقة على ذوى الأرحام

الصدقة من أعمال البر والصلة التى يجب أن تشمل ذوى الأرحام، إذ أنه عيب على المرء أن يكون له أقارب فقراء فيدعهم ويتصدق على غيرهم، فالأقربون أولى بالمعروف.

والنبى ﷺ أوصى بأن تكون الصدقة للأقارب أولاً ولذوى الأرحام من قبل أى من الناس غيرهم.

عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله إن الله يقول ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] وإن أحب أموالى إلى (بيرحاء)[2] وإنها صدقة لله أرجو برها

(١) سورة آل عمران الآية رقم (٩٢).

(٢) بيرحاء: بئر كانت قبل المسجد، وقيل حائط (حديقة).



وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال ﷺ: «بخ، بخ[1]، ذاك مال رابح» مرتين، وقد سمعت: أرى أن تجعلها فى الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل، يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه»[2]

قال النووى: «وفى هذا الحديث استحباب الإنفاق مما يحب، ومشاورة أهل العلم والفضل فى كيفية الصدقات ووجوه الطاعات وغيرها،... وفى هذا الحديث من الفوائد غير ما سبق من أن الصدقة على الأقارب، أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين، وفيه أن القرابة يرعى حقها فى صلة الأرحام، وإن لم يجتمعوا إلا من أب بعيد..»[3]

وعن ميمونة بنت الحارث - رضى الله عنها - أنها أعتقت وليدة فى زمان رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو أعطيتها أخوالك، كان أعظم لأجرك»[4]

قال النووى فى تعليقه على هذا الحديث: «.. فيه: فضيلة صلة الرحم، والإحسان إلى الأقارب، وأنه أفضل من العتق،.. وفيه الاعتناء بأقارب الأم إكراماً بحقها، وهو زيادة

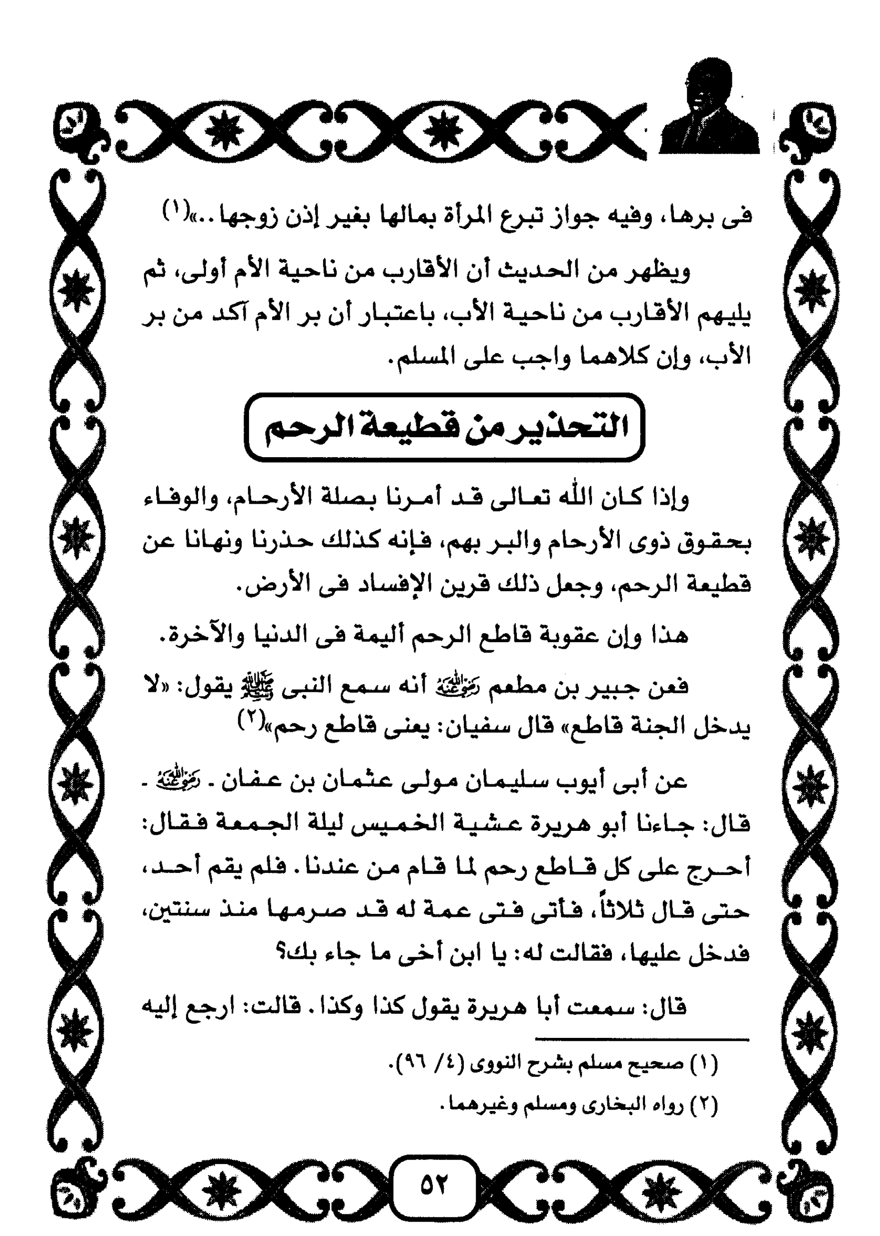
---

(١) بخ بخ: كلمة تقال عند استحسان الفعل، وهى للتعجب.

(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى (٤/ ٩٥).

(٤) الحديث رواه البخارى ومسلم واللفظ له.



فى برها، وفيه جواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها..»[1]

ويظهر من الحديث أن الأقارب من ناحية الأم أولى، ثم يليهم الأقارب من ناحية الأب، باعتبار أن بر الأم آكد من بر الأب، وإن كلاهما واجب على المسلم.

التحذير من قطيعة الرحم

وإذا كان الله تعالى قد أمرنا بصلة الأرحام، والوفاء بحقوق ذوى الأرحام والبر بهم، فإنه كذلك حذرنا ونهانا عن قطيعة الرحم، وجعل ذلك قرين الإفساد فى الأرض.

هذا وإن عقوبة قاطع الرحم أليمة فى الدنيا والآخرة.

فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع» قال سفيان: يعنى قاطع رحم»[2]

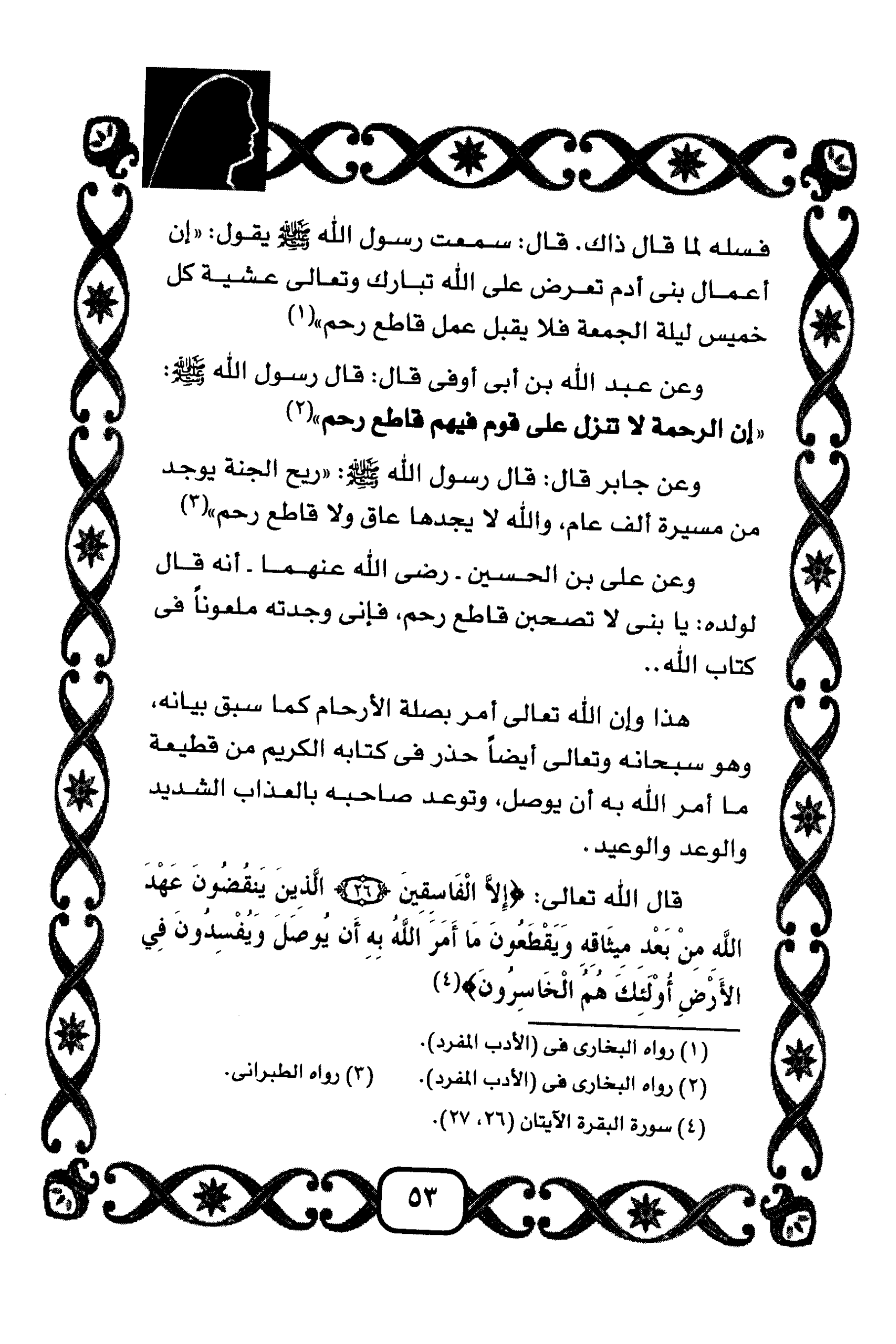
عن أبى أيوب سليمان مولى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: جاءنا أبو هريرة عشية الخميس ليلة الجمعة فقال: أحرج على كل قاطع رحم لما قام من عندنا. فلم يقم أحد، حتى قال ثلاثاً، فأتى فتى عمة له قد صرمها منذ سنتين، فدخل عليها، فقالت له: يا ابن أخى ما جاء بك؟

قال: سمعت أبا هريرة يقول كذا وكذا. قالت: ارجع إليه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٤/ ٩٦).

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.



فسله لما قال ذاك. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أعمال بنى أدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»(١)

وعن عبد الله بن أبى أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**»(٢)

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم»(٣)

وعن على بن الحسين - رضى الله عنهما - أنه قال لولده: يا بنى لا تصحبن قاطع رحم، فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله..

هذا وإن الله تعالى أمر بصلة الأرحام كما سبق بيانه، وهو سبحانه وتعالى أيضاً حذر فى كتابه الكريم من قطيعة ما أمر الله به أن يوصل، وتوعد صاحبه بالعذاب الشديد والوعد والوعيد.

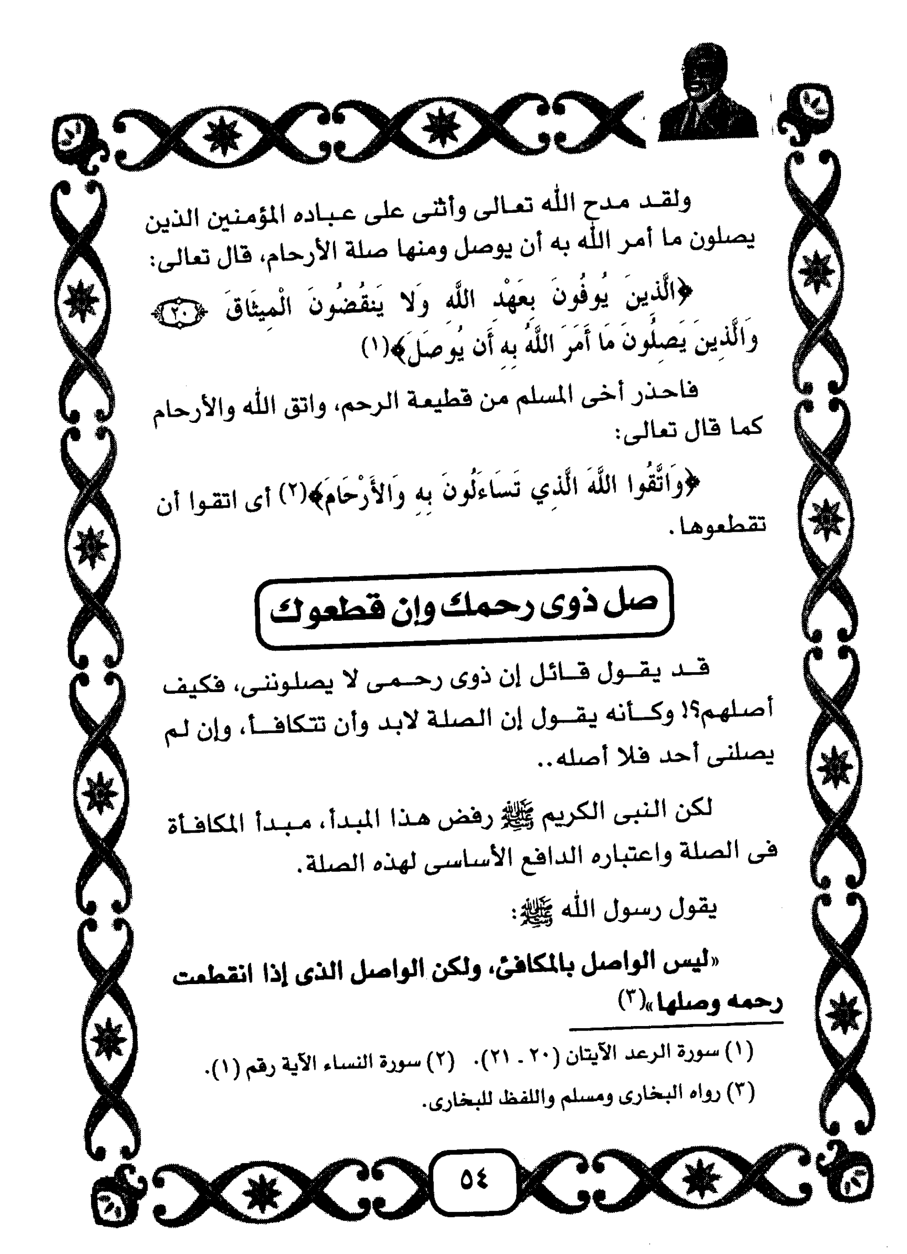
قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ۝٢٦ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٤)

---

(١) رواه البخارى فى (الأدب المفرد).

(٢) رواه البخارى فى (الأدب المفرد). (٣) رواه الطبرانى.

(٤) سورة البقرة الآيتان (٢٦، ٢٧).



ولقد مدح الله تعالى وأثنى على عباده المؤمنين الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ومنها صلة الأرحام، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾(١)

فاحذر أخى المسلم من قطيعة الرحم، واتق الله والأرحام كما قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾(٢) أى اتقوا أن تقطعوها.

صل ذوى رحمك وإن قطعوك

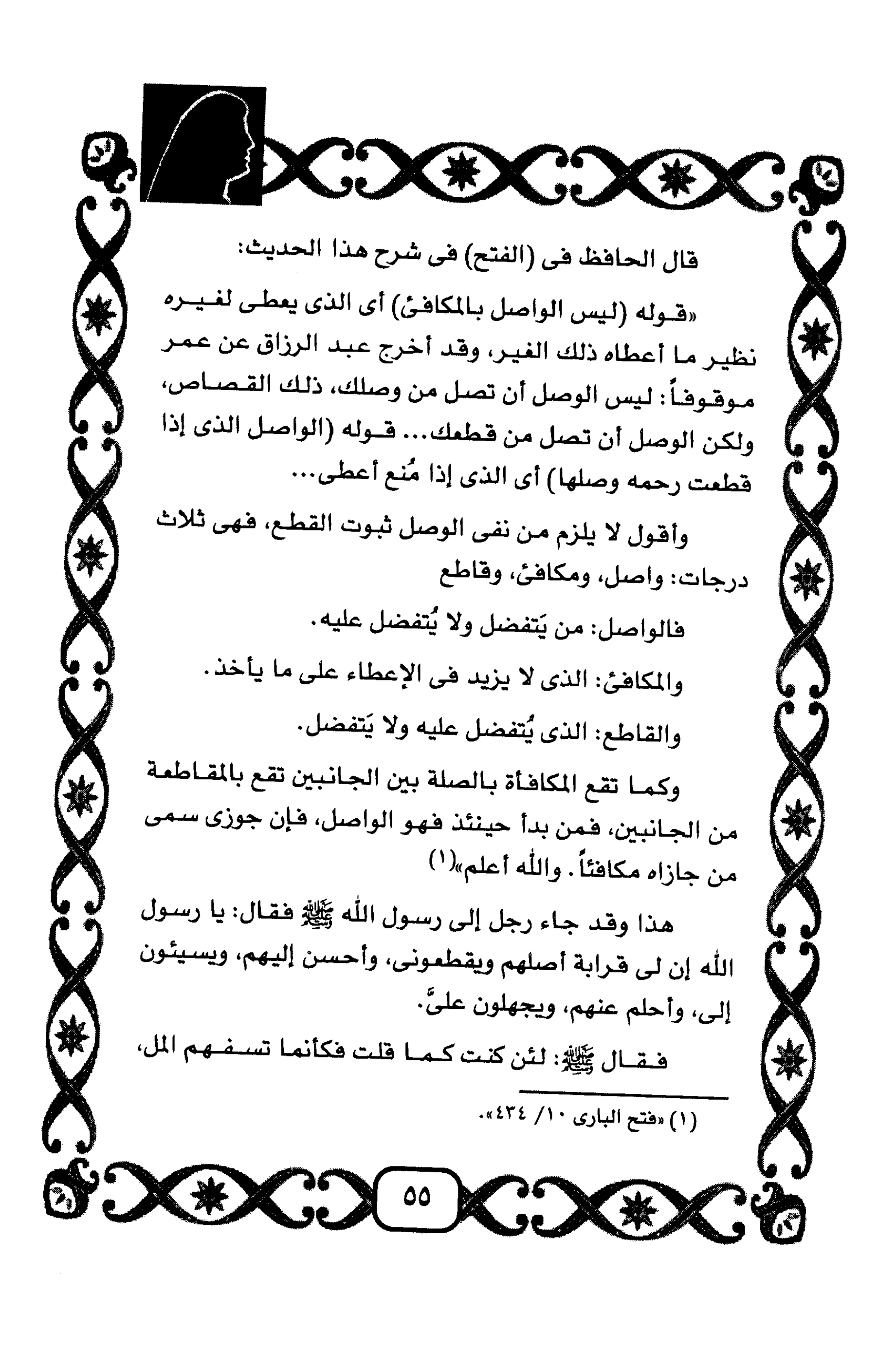
قد يقول قائل إن ذوى رحمى لا يصلوننى، فكيف أصلهم؟! وكأنه يقول إن الصلة لابد وأن تتكافأ، وإن لم يصلنى أحد فلا أصله..

لكن النبى الكريم ﷺ رفض هذا المبدأ، مبدأ المكافأة فى الصلة واعتباره الدافع الأساسى لهذه الصلة.

يقول رسول الله ﷺ:

«ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذى إذا انقطعت رحمه وصلها»(٣)

(١) سورة الرعد الآيتان (٢٠ - ٢١). (٢) سورة النساء الآية رقم (١).
(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى.



قال الحافظ فى (الفتح) فى شرح هذا الحديث:

«قوله (ليس الواصل بالمكافئ) أى الذى يعطى لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير، وقد أخرج عبد الرزاق عن عمر موقوفاً: ليس الوصل أن تصل من وصلك، ذلك القصاص، ولكن الوصل أن تصل من قطعك... قوله (الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها) أى الذى إذا مُنع أعطى...

وأقول لا يلزم من نفى الوصل ثبوت القطع، فهى ثلاث درجات: واصل، ومكافئ، وقاطع

فالواصل: من يَتفضل ولا يُتفضل عليه.

والمكافئ: الذى لا يزيد فى الإعطاء على ما يأخذ.

والقاطع: الذى يُتفضل عليه ولا يَتفضل.

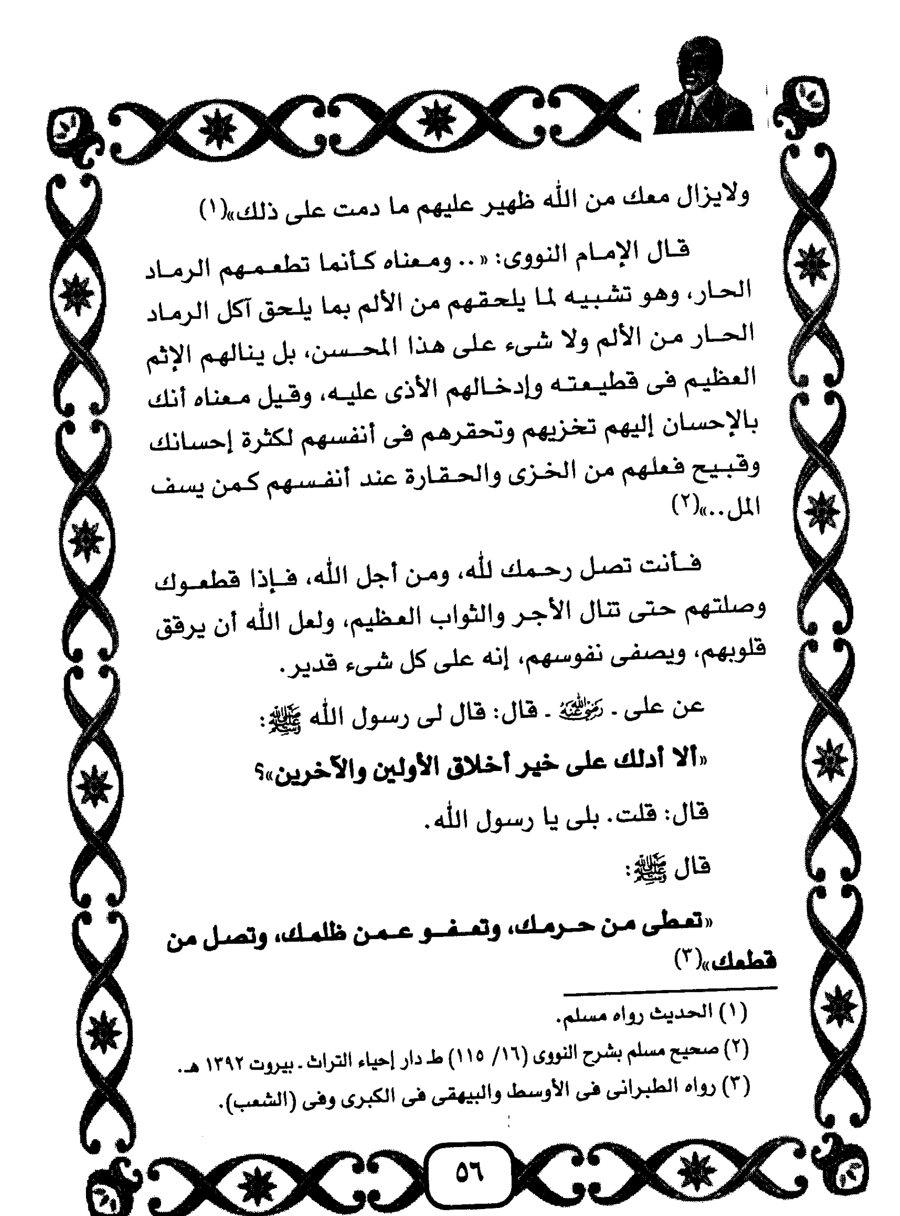
وكما تقع المكافأة بالصلة بين الجانبين تقع بالمقاطعة من الجانبين، فمن بدأ حينئذ فهو الواصل، فإن جوزى سمى من جازاه مكافئاً. والله أعلم»(١)

هذا وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم، ويسيئون إلى، وأحلم عنهم، ويجهلون علىَّ.

فقال ﷺ: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل،

---

(١) «فتح البارى ١٠/ ٤٣٤».



ولايزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»(١)

قال الإمام النووى: «.. ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ولا شىء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم فى قطيعته وإدخالهم الأذى عليه، وقيل معناه أنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم فى أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزى والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل..»(٢)

فأنت تصل رحمك لله، ومن أجل الله، فإذا قطعوك وصلتهم حتى تنال الأجر والثواب العظيم، ولعل الله أن يرقق قلوبهم، ويصفى نفوسهم، إنه على كل شىء قدير.

عن على - رضي الله عنه - قال: قال لى رسول الله ﷺ:

«ألا أدلك على خير أخلاق الأولين والآخرين»؟

قال: قلت. بلى يا رسول الله.

قال ﷺ:

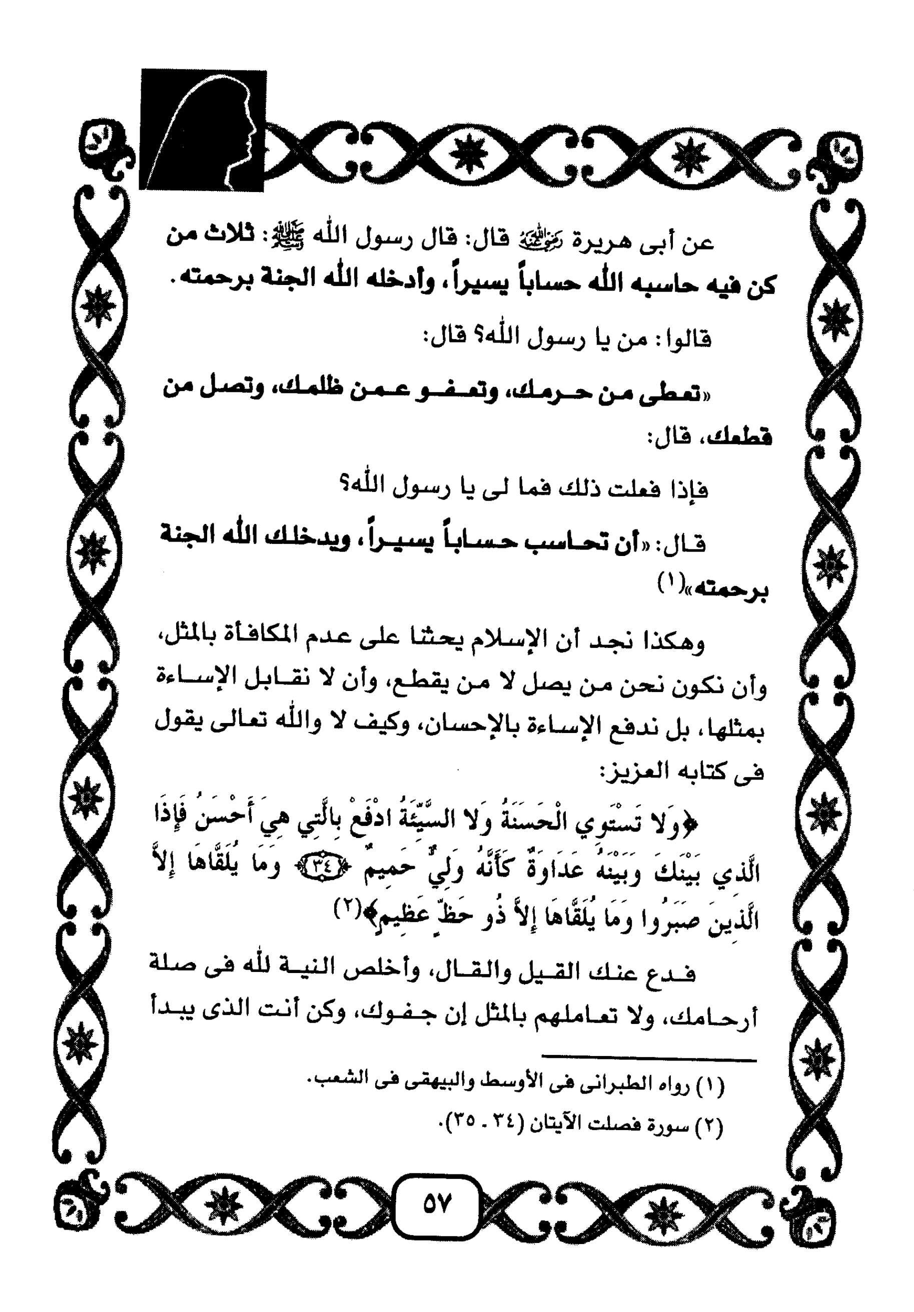
«تعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك»(٣)

---

(١) الحديث رواه مسلم.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (١٦/ ١١٥) ط دار إحياء التراث - بيروت ١٣٩٢ هـ.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الكبرى وفى (الشعب).



عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً، وأدخله الله الجنة برحمته.**

قالوا: من يا رسول الله؟ قال:

«**تعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك**، قال:

فإذا فعلت ذلك فما لى يا رسول الله؟

قال: «**أن تحاسب حساباً يسيراً، ويدخلك الله الجنة برحمته**»(١)

وهكذا نجد أن الإسلام يحثنا على عدم المكافأة بالمثل، وأن نكون نحن من يصل لا من يقطع، وأن لا نقابل الإساءة بمثلها، بل ندفع الإساءة بالإحسان، وكيف لا والله تعالى يقول فى كتابه العزيز:

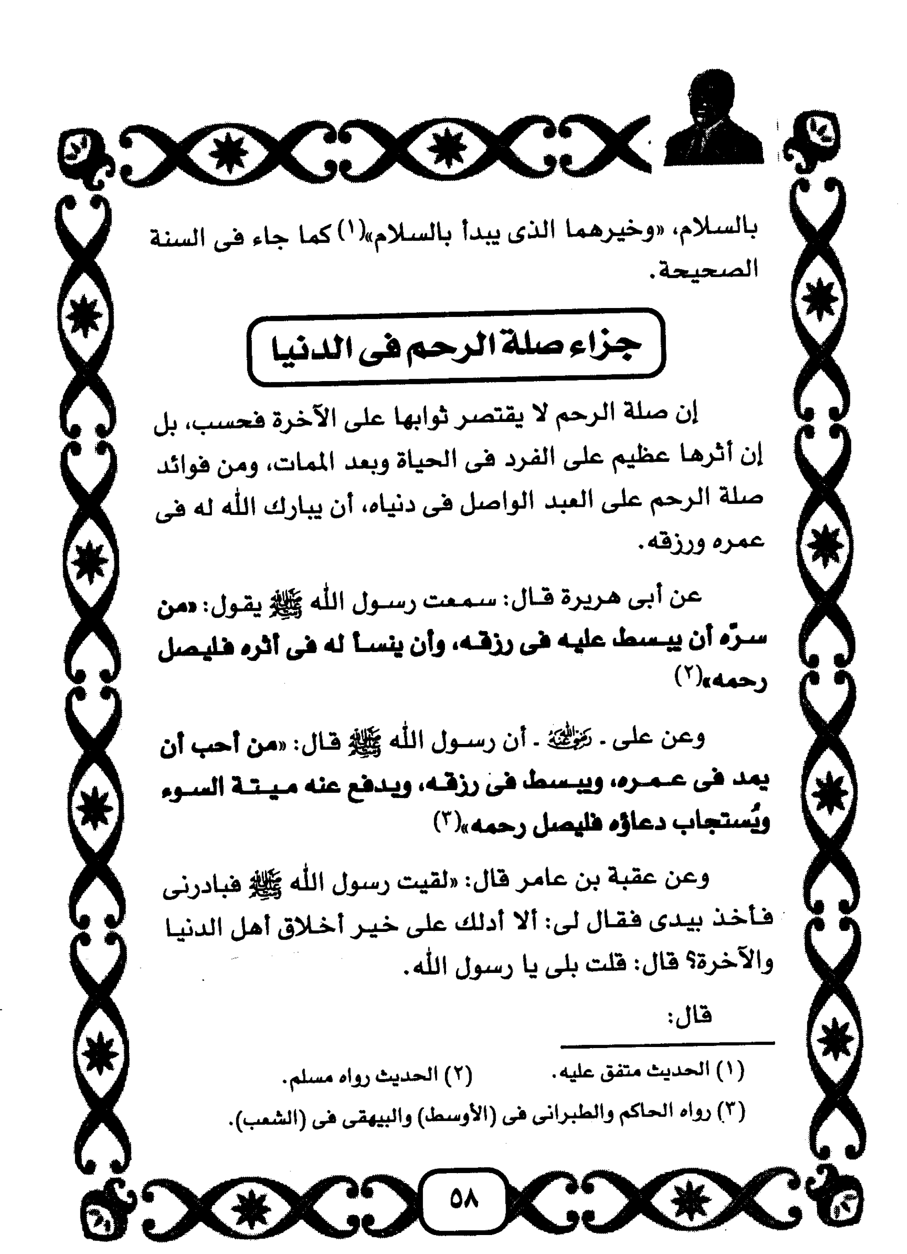
﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢)

فدع عنك القيل والقال، وأخلص النية لله فى صلة أرحامك، ولا تعاملهم بالمثل إن جفوك، وكن أنت الذى يبدأ

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب.

(٢) سورة فصلت الآيتان (٣٤ - ٣٥).



بالسلام، «وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»(١) كما جاء فى السنة الصحيحة.

جزاء صلة الرحم فى الدنيا

إن صلة الرحم لا يقتصر ثوابها على الآخرة فحسب، بل إن أثرها عظيم على الفرد فى الحياة وبعد الممات، ومن فوائد صلة الرحم على العبد الواصل فى دنياه، أن يبارك الله له فى عمره ورزقه.

عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سرّه أن يبسط عليه فى رزقه، وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه»**(٢)

وعن على - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحب أن يمد فى عمره، ويبسط فى رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء ويُستجاب دعاؤه فليصل رحمه»**(٣)

وعن عقبة بن عامر قال: «لقيت رسول الله ﷺ فبادرنى فأخذ بيدى فقال لى: ألا أدلك على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ قال: قلت بلى يا رسول الله.

قال:

(١) الحديث متفق عليه. (٢) الحديث رواه مسلم.

(٣) رواه الحاكم والطبرانى فى (الأوسط) والبيهقى فى (الشعب).



«تعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، ألا ومن أراد أن يمد له فى عمره، ويوسع له رزقه فليصل ذا رحم منه»(١)

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله ليعمر للقوم الديار، ويكثر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم، قيل: يا رسول الله ولم؟ ـ وفى رواية الفارسى قيل وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: بصلتهم أرحامهم»(٢)

عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «إن أهل البيت إذا تواصلوا أجرى عليهم الرزق، وكانوا فى كنف الله عز وجل»(٣)

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: «صلة الرحم وحسن الخلق يعمرن الديار، ويزدن فى الأعمار»(٤)

عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ قال: فى قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾(٥) قال: لا تعتلوا بالله، لا يقول أحدكم

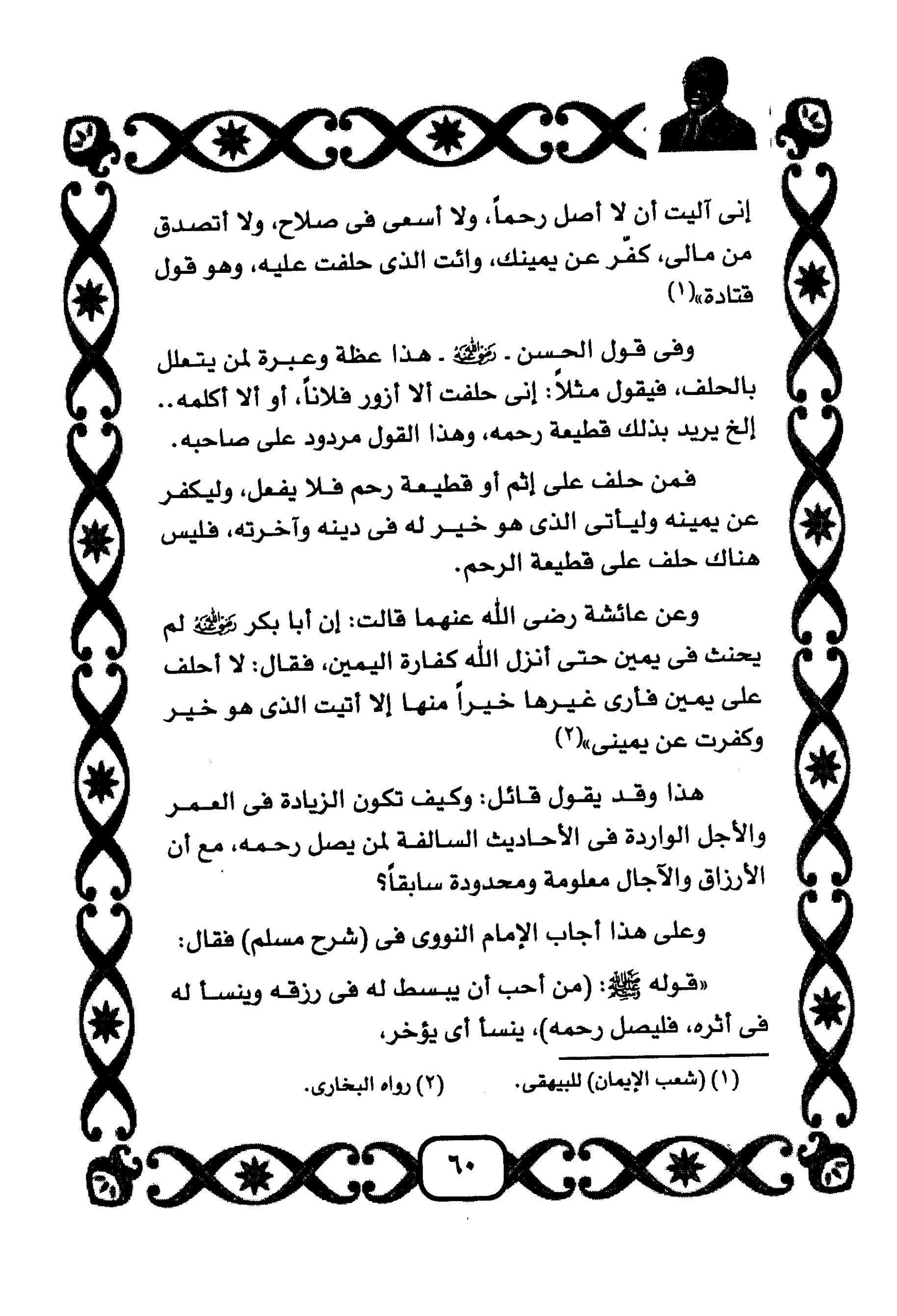
---

(١) رواه الحاكم والبيهقى فى (شعب الإيمان).

(٢) رواه الحاكم والبيهقى فى (الشعب).

(٣) رواه البيهقى فى (الشعب) وابن حبان بمثله.

(٤) رواه البيهقى فى (الشعب). (٥) سورة البقرة الآية رقم (٢٢٤).



إنى آليت أن لا أصل رحماً، ولا أسعى فى صلاح، ولا أتصدق من مالى، كفّر عن يمينك، وائت الذى حلفت عليه، وهو قول قتادة»(١)

وفى قول الحسن - رضي الله عنه - هذا عظة وعبرة لمن يتعلل بالحلف، فيقول مثلاً: إنى حلفت ألا أزور فلاناً، أو ألا أكلمه.. إلخ يريد بذلك قطيعة رحمه، وهذا القول مردود على صاحبه.

فمن حلف على إثم أو قطيعة رحم فلا يفعل، وليكفر عن يمينه وليأتى الذى هو خير له فى دينه وآخرته، فليس هناك حلف على قطيعة الرحم.

وعن عائشة رضى الله عنهما قالت: إن أبا بكر رضي الله عنه لم يحنث فى يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين، فقال: لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذى هو خير وكفرت عن يمينى»(٢)

هذا وقد يقول قائل: وكيف تكون الزيادة فى العمر والأجل الواردة فى الأحاديث السالفة لمن يصل رحمه، مع أن الأرزاق والآجال معلومة ومحدودة سابقاً؟

وعلى هذا أجاب الإمام النووى فى (شرح مسلم) فقال:

«قوله ﷺ: (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره، فليصل رحمه)، ينسأ أى يؤخر،

---

(١) (شعب الإيمان) للبيهقى. (٢) رواه البخارى.



والأثر: الأجل لأنه تابع للحياة فى أثرها، وبسط الرزق توسيعه وكثرته، وقيل البركة فيه، وأما التأخير فى الأجل ففيه سؤال مشهور: وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١)

وأجاب العلماء بأجوبة، الصحيح منها أن هذه الزيادة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة. وصيانتها عن الضياع فى غير ذلك.

والثانى: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفى اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم فى اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله سبحانه ما سيقع له من ذلك، وهو معنى قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾(٢) فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق قدره ولا زيادة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة، وهو مراد الحديث»(٣)

تعجيل العقوبة فى الدنيا لقاطع الرحم

عن أبى بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره**

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم (٣٤). (٢) سورة الرعد الآية رقم (٣٩).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى (١٦/ ١١٤).



له فى الآخرة من قطيعة الرحم والبغى»(١)

ومن عقوبته فى الدنيا أيضاً عدم تنزل الرحمات عليه، ولا على مجلسه، قال ﷺ: «**إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**»(٢)

وعن الأعمش قال كان ابن مسعود - رضي الله عنه - جالساً بعد الصبح فى حلقة فقال: أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجة(٣) دون قاطع رحم»(٤)

وروى عن عبد الله بن أبى أوفى - رضى الله عنهما - قال: كنا جلوساً عند النبى ﷺ فقال: «**لا يجالسنا اليوم قاطع رحم**» فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له، قد كان بينهما بعض الشىء، فاستغفر لها، واستغفرت له، ثم عاد إلى المجلس، فقال النبى ﷺ: «**إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**»(٥) فليبادر كل من كان له رحم يقطعها بوصلها، والدعاء والاستغفار لها كما فعل ذلك الفتى. حتى ينال رحمة الله ورضوانه، والتى لا غنى لأحد عنهما.

---

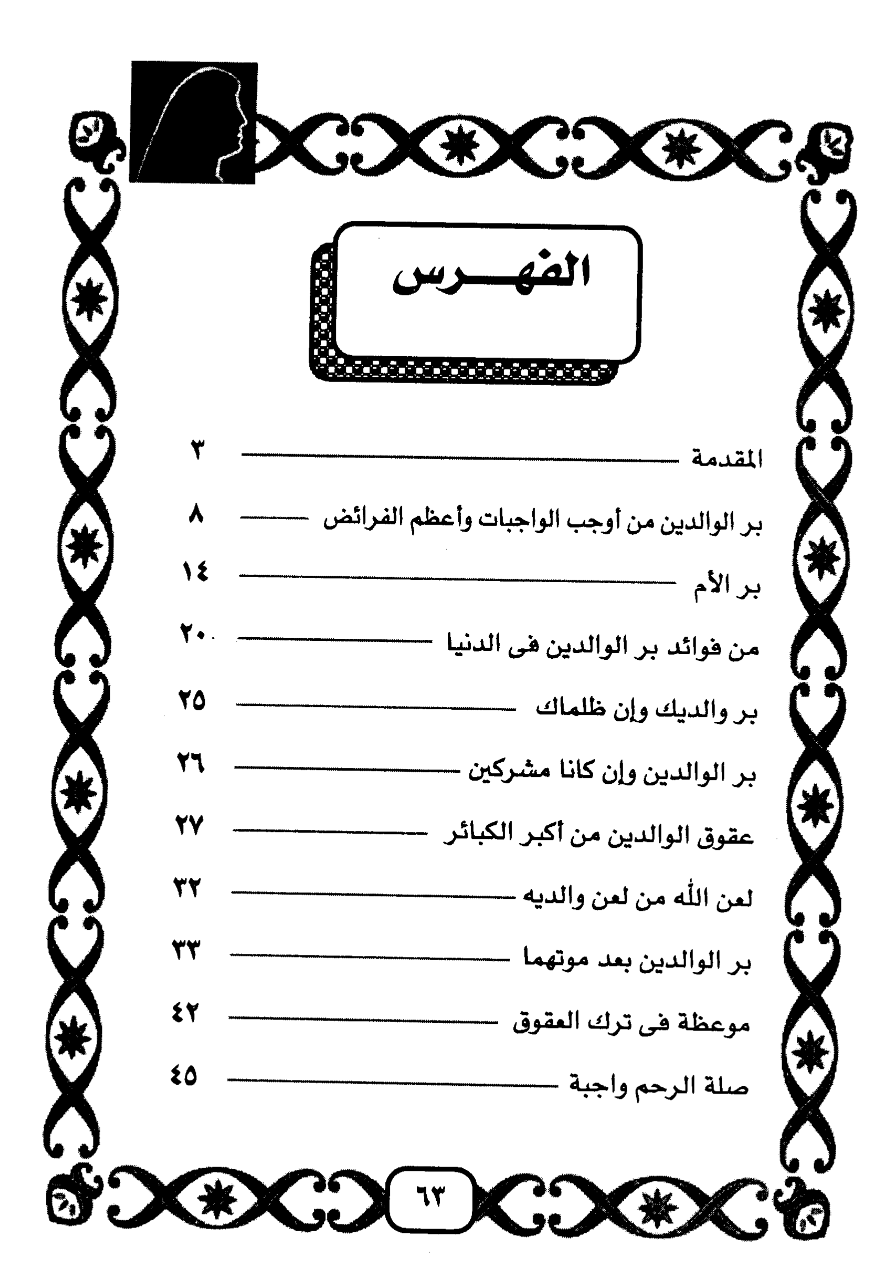
(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال: (حديث حسن صحيح)، والحاكم وقال (صحيح الإسناد)، كما رواه البخارى فى (الأدب المفرد).

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط.

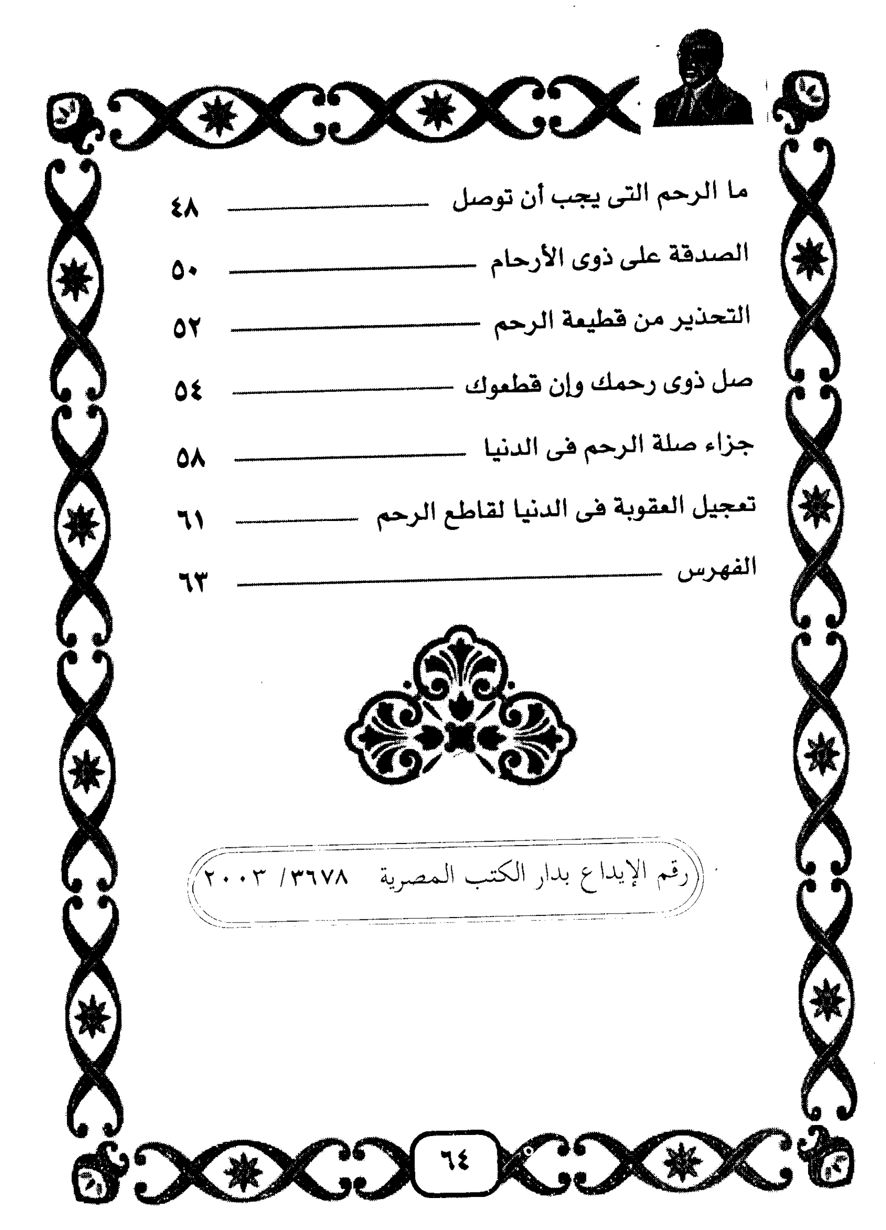
(٣) مرتجة: يعنى مغلقة.

(٤) «الترغيب والترهيب ٣/ ٢٣٤».

(٥) المصدر السابق.



الفهـــرس



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٣٦٧٨/ ٢٠٠٣